مهرجان القراءة للجميع مكتبة الأسرة ٢٠٠٢

إبداع الشباب

الهيئة المصرية العامة للكتاب

دائماً ما أدعو الموتى

سعيد نوح

رواية



دائما ما أدعو الموتى

اسم العمل الفنى: سيدة جالسة
التقنية: ألوان زيتية على قماش
المقاس: ١١٢ × ٨٢,٥ سم
أحمد صبرى (١٨٨٩ – ١٩٥٥)

يعد الفنان الكبير رائدًا للصورة الشخصية (البورتريه)، وظل أستاذًا لعدة أجيال وقد استمد من التأثيرية صفاء الألوان، ومن الكلاسيكية إحكام البناء والرصانة، ومن الواقعية الصدق، ومن الفنون القديمة الشموخ.

تخرج الفنان فى كلية (مدرسة) الفنون الجميلة ١٩١٦، وعمل لمدة عامين بالتدريس، ثم أنشأ مرسمًا بجوار محطة مصر، سافر بعدها إلى فرنسا، وهناك درس الفن على يد بول ألبير، وعاد إلى مصر ليعمل رساما للحشرات بوزارة الزراعة، ثم أستاذًا بمدرسة الفنون الجميلة العليا، وأنشأ قسم الدراسات الحرة.

صدر كتابان عن الفنان أحمد صبرى، الأول فى سلسلة أعلام الفنانين العرب بقلم مصطفى الجمال، والثانى فى سلسلة وصف مصر المعاصرة من خلال الفنون التشكيلية بقلم حسين بيكار، وأقام متحف الفن المصرى الحديث معرضًا لمجموعة مقتنيات الفنان ضمن الاحتفال بافتتاح المبنى الجديد للمتحف بأرض المعارض بالجزيرة.

محمود الهندى

دائما ما أدعو الموتى

رواية

سعيد نوح



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٢

مكتبة الأسـرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة إبداع الشباب)

دائما ما أدعو الموتى

رواية: سعيد نوح

الغلاف
والإشراف الفنى
الفنان : محمود الهندى

الإخراج الفنى والتنفيذ:
صبرى عبدالواحد

المشرف العام :
د. سمير سرحـــان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقـافـة

وزارة الإعـلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزار ة الشــباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم :

نعم استطاعت مكتبة الأسرة بإصداراتها عبر الأعوام الماضية أن تسد فراغا كان رهيباً فى المكتبة العربية وأن تزيد رقعة القراءة والقراء، بل حظيت بالتفاف وتلهف جماهيرى على إصداراتها غير مسبوق على مستوى النشر فى العالم العربى أجمع، بل أعادت إلى الشارع الثقافى أسماء رواد فى مجالات الإبداع والمعرفة كادت أن تنسى وأطلعت شباب مصر على إبداعات عصر التنوير وما تلاه من روائع الإبداع والفكر والمعرفة الإنسانية المصرية والعربية على وجه الخصوص ها هى تواصل إصداراتها للعام التاسع على التوالى فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية بالنشر الموسوعى بعد أن حققت فى العامين الماضيين إقبالاً جماهيرياً رائعاً على الموسوعات التى أصدرتها. وتواصل إصدارها هذا العام إلى جانب الإصدارات الإبداعية والفكرية والدينية وغيرها من السلاسل المعروفة وحتى إبداعات شباب الأقاليم وجدت لها مكاناً هذا العام فى **«مكتبة الأسرة»** .. سوف يذكر شباب هذا الجيل هذا الفضل لصاحبته وراعيته السيدة العظيمة/ **سوزان مبارك**..

د. سمير سرحان

مقدمة

كل من عانى تأليف سيرة إنسان ليجعله بطل كتاب - سواء أكان بطلاً فى الحياة أم لم يكن - يؤمن بداهة أول الأمر أن الهدف المنشود يقتضيه، إن أراد العدل والصدق، أن يجعل شخصية هذا البطل تملأ اللوحة كلها وتستأثر بجميع الأضواء، فإذا مضى فى هذا السبيل أحس، وهو قلق، أن اللوحة، رغم امتلائها بشخصية البطل تظل فارغة جوفاء، وأنه مرسوم بغير أبعاد، فكأنه إنسان وهمى، لا ندرى أهو حى أم خرافى، مدور أم مسطح، لابد إذن أن يقوم بجانبه شىء آخر يحدد أبعاد البطل وخطوطه ويجعله ينطق بالصدق - وإن كان صدقًا غير مطلق - بفضل النسبة التى قامت بين البطل وهذا الشىء الآخر. حينئذ تأتى شخصياته ثانوية فى محيط البطل، وتتقدم قليلاً.. قليلاً حتى تبلغ مقدمة الصفوف، فإذا بلغتها أحس المؤلف، وهو

مغتبط، إنه يعدل عن رسم فرد فى لوحة صغيرة إلى رسم جيل فى لوحة كبيرة، ووجد أن شخصية البطل تتضاءل قليلا بسبب اتساع اللوحة، فلا يغضب لذلك، بل لعله يفرح به؛ لأنه ينجيه من المغالاة فى الابتعاد عن الصدق والنسبة الصحيحة..

ولكنه مع هذا كله يرتاع حين يحس أن الحركة فى اللوحة قد ماتت من شدة الازدحام واختلاط الكبير بالصغير، فيتأمل اللوحة ليرى ماذا هو فاعل من أجل أن تدب فيها الحركة والنمو، فلا يجد له مخرجًا إلا أن يجعل جميع الشخصيات تدور حول محور. فمن يكون هذا المحور؟ أيكون هو البطل؟ كلا. فإنه لو فعل ذلك فلن يسلم أن يقع مرة أخرى فى خطر انعدام النسبة بينه وبين بقية اللوحة. حينئذ يلجأ المؤلف إلى حيلة فنية فى صنعة التأليف، هى أن يجعل شخصيات اللوحة كلها - والبطل من بينها - تدور حول شخصية ثانوية، ينتزعها من الهامش ليضعها فى المركز، فإذا بشخصية البطل، وهى تتحول إلى الأطراف، قد أصبحت أكثر وضوحًا وصدقًا، بل إنها، بسبب هذا الوضوح والصدق، تطغى على اللوحة من جديد طغيانًا لا يضر ولا يفسد.

يحيى حقى

دائما ما أدعو الموتى

مضت ستة أشهر على خطوبة جيهان كنت خلالها قد عودت نفسى على النسـيـان .ربما كانت هذه الفترة هى أقصر فترة قضيتها فى النسيان .فراوية مثلا التى كانت تشبه بصورة ما إيمان حبيبتى الأولى أخـذت منى مـا لا يقل عن ثلاث سنوات وبعـدها جاءت هالة التى أحسـست للحظات وبالتحديد حين ابتسمت لى فى اللقـاء الرابع أن ابتسامتها تشبه إلى حد ما ابتسامة إيمان، ومن أجل ذلك ظللت عامين فى مـحاولة نسيانها. أمـا إيمان نفسـهـا فقد أخذت تسع سنوات على نسيانها، وأظننى لم أفلح أبداً (!!)

وها هى جيهان آخر أحلامى الفاشلة أضبط نفسى وقد شفيت منها، ولم أعد أفكر فيها ليل نهار كالأيام الفائتة، لكن ما كان أكذبنى! فها أنا ارتعش حين سمعت صوتها للمرة الأولى خلال الستة أشهر .جاء صوتها به رنة حزن وهى تدعونى فى التليفون لزيارة الحاجة لأمر مهم .

كنت فى الطريق أحسب الأيام والليالى الماضية بحسرة وألم .فـأنا الآن أسير فى الاتجاه الذى ظللت أمنع نفسى عنه طيلة الشهور الستة الأخيرة وأمسك بى سعيداً بهذا اللقاء وكأننى سأقابل قلبى الضائع.

أكملت السادسة والثلاثين وها أنا أمسك بنفسى غراً غريراً كما يقول إيليا أبوماضى ـ كنت خلال الطريق أفكر فى جيهان، وكيف سأبدو حين ألقى عيونها. تمنيت كثيراً أن أحقق نحلم الارتباط بواحدة تشبه إيمان.

حين دخلت من الباب كان الجو غريباً بالنسبة لى؛ فلأول مرة أرى عمر وعلياً وعثمان أبناء الحاجة نعمة مجتمعين فى البيت .كـــانوا يجلسون على الكنبة مكان الحاجة المفضل .فأين ذهبت الحاجة ؟

كنت قد عرفتهم من خلال اللقاءات المتفرقة، وكم حسدت الحاجة عليهم يوم ذهبنا لتوديعها فى ميناء السويس العام قبل الماضى، وربما حسدتهم على الحاجة نفسها، لا أدرى.

كان الدكتور عمران خطيب جيهان يجلس على كرسى بجوار الباب المؤدى إلى الحجرات الداخلية للشقة، فجلست بجواره بعد أن صافحتهم. كانت الوجوه تشى بفجيعة على وشك الحدوث. لا أعرف لماذا تخيلت أن تكون الفجيعة فى الحاجة فتحية ذلك الجرم الصغير. كنت قد عرفت منذ أيام أنها من ضمن الذين قبلوا فى «قُرعة الحج» هذا العام. لم يخطر أبداً فى بالى أن تكون الحاجة نعمة هى المريضة؛ فهى لا تشتكى إلا من الروماتيزم والروماتيد وهما لا يسببان الموت على ما أعتقد .دخلت جيهان ممسكة بصينية الشاى، وأنا أفكر فى مصير الحاجة فتحية

وأراجع شريط حياتها كما عرفته من خلال الحاجة نعمة، ومن خلالها أيضاً .تعمدت أن أنظر فى الأرض وهى تسلم علىّ. حين وقفت أمامى بصينية الشاى .خرج الجرم الصغير، وما إن وجدتنى أمامها حتى سلمت علىّ وقبلت يدى كعادتها .كدت أقع وأنا أتخيل أن الحاجة هى المريضة، سحبت يدى من يد الحاجة فتحية، وقلت لعلى:

- فيه إيه؟

كان أقربهم إلى سنى وأقربهم إلىّ .حاول أن يبدو متماسكاً وهو يقول:

- الحاجه بعافيه شويه .

كان قد مضى علىّ أربع سنوات منذ عرفت الحاجة، أحسست خلالهم إن الله عوضنى بها عن أمى التى فقدتها قبل معرفتى بها بوقت قصير .طلبت من على أن أدخل عليها فقال: إن الدكتور محمد عمران معها بالداخل ، وبمجرد انتهائه من الكشف سوف ندخل معًا. استرجعت كل لحظات موت أمى وخلتنى أعيشها مرة أخرى .

ما إن خرج الدكتور محمد حتى صافحته وسألته عن صحة الحاجة. كان وجهه يشى بكل شئ ورغم ذلك سألته .كان جوابه مختصراً ودقيقاً وشديد الوطء على قلبى، طلبت منه أن ندخلها مستشفى العجوزة لصلة قرابة تربطنى بمديرها، لكنه قال بصوت هامس حزين:

-أحسن إنها تفضل هنا.

كان جوابه شافياً وافياً ، فتركته ودخلت .

كانت بناتها الأربع وزوجات أبنائها يلتففن حول السرير وهى مغمضة العينين .ما إن رأتنى حتى طلبت من بناتها أن يتركننى معها دقائق .خرجن جميعاً وتركوننى أمسك بيديها، كانت تشبه، إلى حد بعيد، أمى فى لحظاتها الأخيرة، رحت أفكر: ما الذى أملكه ويجعل الأموات يحوطوننى بثقتهم؟ يوم أن مات خالى الدكتور عوض طلب من زوجته أن تتركنى معه لحظات كانت كفيلة بأن يمنحنى أمانته. وكذلك أمى وأبى وأختى سعاد، والآن الحاجة فما الذى يدعو الموتى لذلك؟!

كنت أفكر فى الأمانة التى لابد ستحملها لى الحاجة كباقى الموتى، وهل سوف أستطيع تحقيقها كما فعلت مع الذين سبقوها؟

اقتربت منها بناء على إشارة من يديها حتى غدوت أتشمم أنفاسها المليئة برائحة الموت، سقطت دمعتان على خديها، فلم تلتفت إليهما، أوعلى وجه الدقة، لم تحس بهما .فكدت أجهش بالبكاء ، ولكنى تمالكت نفسى جيداً وسحبت يدى من يدها القابضة عليها . قالت لى بصوت ضعيف واهن:

- أنت عامل إيه مع مراتك؟

فاجأنى السؤال ولكنى قلت لها: الحمد لله .فأغمضت عينيها قليلاً وكأنها تستجمع ما تبقى لها من قوة ثم فتحتهما وقالت بصوت يملؤه الكبرياء والذل فبدا كصوت الموتى:

- جيهان بتحبك، وانت بتحبها هى قالت لى كده أول امبارح .فلو كان عندك مقدره تفتح بيت تانى مافيش مانع أخلى إخواتها يوافقوا.

كانت الأمانة هذه المرة غريبة وصعبة .فدائماً ما كان الأموات يدعونى للوقوف جوار أحبائهم الذين هم أيضاً أحبائى، أما حكاية الزواج فهذا ما لم يدعنى أحد إليه .ما الذى يجب علىّ قوله؟ أنا لن أستطيع أن أفتح بيتاً آخر .ويكفينى زوجة واحدة كزوجتى حتى لا أفكر فى الزواج مرة ثانية؟!

أنا لا أنكر أننى مشدود إلى جيهان، بل أحبها، ولكن موضوع الزواج هذا كان جديداً بالنسبة لى .كنت أنظر إلى وجه الحاجة والأفكار تتداخل فى رأسي، وربما أحست بما يدور فى رأسى؛ ومن أجل ذلك قالت بعد أن تركت فسحة من الوقت:

ـ يا بنى كل شئ قسمه ونصيب بس أنا كنت عاوزه أشوف جيهان سعيده قبل ما أموت، أبوها ماشفهاش وعلشان كده حاسه إنها معرفتش الحنان .

أشاحت بوجهها بعيداً وكأنها تعطينى فرصة أخرى دون التلصص علىّ .كنت مازلت أمسك بيدها وأنا أفكر .للحظات أحسست أننى أكاد أطير من الفرح ثم جاءت صورة زوجتى فجأة فأعادتنى للحالة الأولى.

عادت بوجهها إلىّ مرة ثانية ثم قالت لى:

-أنت فى معزة واحد من ولادى .ثم سحبت يدى الممسكة بيدها وقربتها من فمها وطبعت قبلة عليها، وحين ذلك وجدت الدموع الحبيسة فرصة للخروج بعد أن كادت تضيع ما بين أفكار الزواج وصورة زوجتى .

خرجت من الحجرة وجلست على الكنبة بجوار عمر وعلى دون أن انتبه إلى عينى جيهان التى تملؤهما الدموع والحسرة.

فى طريق العودة للبيت، بعد ثلاثة أيام شاركت خلالهم فى العزاء، كنت أفكر فى دموع جيهان التى أمسكت بيدى طويلاً فى شقة ماجدة وأنا أعزيها وفى الأيام الطويلة التى جلست فيها بجوار الحاجة وأختها استمع إلى حكايتهم، وكيف استطاعت أن تخرج ذلك العرض من فمها وهى فى الطريق إلى الموت؟! وكيف لم استطع تحقيق أمنيتها الأخيرة؟!

* * *

دخلت جيهان ممسكة بيديها الجرم الصغير بعد أن صار شعرها كله منكوشاً وقالت لأمها:

- أدينى فكيت كل الضفاير خليها بقى توافق على الدخول علشان أخلص.

- ياللا يا فتحية اسمعى الكلام.

- يا وليه أنا لسه مستحميه الأسبوع اللى فات.

- علشان خاطرى يا فتحيه.

- هو فيه حد لامؤاخذه... علشان كل أسبوع استحمى.

- اختشى يا فتحية عيب الأستاذ أول مرة يخش عندنا يقول عليكى إيه.

نظرت إلىّ نظرة متفحصة ثم نظرت إلى ماجدة التى كانت تجلس جوارى وابتسمت ابتسامة لا معنى لها وقالت موجهة الكلام لى:

ـ أنت متجوز؟

ـ وعندى بنت عندها سنة ونصف.

ـ يبقى عارف كل حاجة.

وأشارت بيدها إشارات بذيئة انسحبت على أثرها جيهان، وهى تحاول عدم النظر إلىّ رغم ابتسامة الخجل .أما ماجدة فقد دفست رأسها فى حجرها وطلع منها ما يشبه ضحكة مكتومة .كانت الحاجة نعمة مازالت تجلس على الكنبة وتضع يدها على فمها، ورغم ذلك كانت عيونها تفضح ابتسامة رائقة وجميلة.

ـ والنبى يا فتحية أنا ما فىّ صوت للمناهدة معاكى النهارده خلى جيهان تحميكى وخلصينا من وجع الدماغ بتاع كل أسبوع ده.

نظرت فتحية إلى وجه أختها الصارم، وقالت لها:

ـ إيه يا نعمه تكونيش انتى الكبيره.

ـ أبداً ياختى والله بس ما فىّ حيل للمناهده النهارده وحاسه كده إنى قلبى سخسخ.

انتفضت فتحية بمجرد سماع أختها وجرت إلى حضنها وقالت لها:

-أوعى تموتى يا بت.

أمسكت نعمة برأس أختها الموضوعة فى صدرها وطبطبت عليها وانهمرت عيونهما معاً .انسحبت فتحية بعد قليل بهدوء وأمسكت بيد

جيهان التى عادت لتقف بجوار الباب بعد أن ضاعت من وجهها صبغة الخجل.

- عارف يا ابنى من ساعة ما مات أنور جوزها وهى موريانا العذاب ألوان . هو مات من هنا وهى هجت تمن سنين، واحنا مش عارفين إذا كانت عايشه ولا ميته، وبعد كده لففتنا وراها من إسكندرية لطنطا لدسوق.. والله مرة رحت لها الاقصر فى مولد الشيخ الحجاجى.انت تفتكر هى عاقلة؟ أبداً دى انجذبت من يوم المخفى أنور ما انتحر. كانت لسه عندها ٢٥ سنة، حاكم هى قعدت متجوزه سبع سنين وتلت تشهر، وبعدين اللى جرى جرى .رجعت من القصر العينى حافيه والحاج محمود شافها من بعيد بسم الله ما شاء الله .كان يعرف الواحد من على بعد .مش قصدى يعرفه يعرفه .قصدى يعرف حاله.. كويس ولا فيه حاجه. أول ما شافها قال لى أنور جوز اختك مات. إحنا مــا كناش شفناهم من يجيى خمس تشهر قلت له فال الله ولا فالك يا حاج .قــال لى اختك جايه هى أهى..، طلعت جرى لقيتها داخله علىّ حافيه وراحت مرميه فى حضنى. من يومها يا ابنى وأنا حسيت إنها بنتى وإنى مسئوله عنها .الحاج محمود عرف الموضوع بالعافيه وراح القصر العينى وعمل الواجب كله - الله يرحمه أما مات بعد كده بحداشر سنه كانت جنازته بسم الله ما شاء الله شارع الصحافة كله وقف ساعتين، حاكم الحاج الله يرحمه كان قريب يوسف بيه صديق... وده اللى قام بالثورة وبعدين الثوره دبحته... ده غير الناس اللى الحاج كان بيجاملهم.

وتفتكر العزا قعد كام يوم؟ ورحمة النبى اللى نفسى أزوره يا ابنى قعد عشر تيام، حاكم هو كان يعرف البلد كلها. الله يرحم أمواتنا وأموات المسلمين.

* * *

أربع بنات وضابط

فتحية ديه هى اللى طلعت بيها من أمى وأبويا والله ما عارفه أنا الكبيرة ولا هىّ.

جاء صوتها من خلف شيش الشباك المطل على الحجرة الأخرى:

ـ أنت الكبيره يا كدابه ربنا هيدخلك النار.

ـ ماشى يا فتحيه أنا الكبيره.

ثم قالت عنها بصوت ضعيف واهن.

ـ والله يا بنى هى الكبيره . أنا افتكرت دلوقتى، قصدى أنا عارفه كده طول العمر بس أما قلت لك من شويه أنى مش عارفه كنت ناسيه والنبى يا ضنايا.

ـ انتو بتتوشوشوا على إيه .أنت بتقولى له إيه يا نعمة؟ أنت ماتعرفيش إن اللى يقول كلام على حد ويكدب ربنا بيدخله النار.

ـ والنبى يا اختى ما باكدب.

ـ أبويا ماجبش غيرنا ومات وتوحه عندها أربعتاشر سنه .ماعرفش مات ولا انقتل، أمي الله يرحمها كانت بتقول مات، وأهل بولاق أبوالعلا بيقولوا انقتل. الله أعلم بالحقيقة وربنا يرحمه على كل حال. تصدق وتآمن بالله يا ابني أنا وفتحية دى كنا بنات عداله . والبت فتحيه دى كانت أجمل واحدة في بولاق أبوالعلا، وكانوا مسمينها توحه الغندوره. وهي عندها ١٣ سنه كان اتقدم لها الأستاذ محمد الأمير اللي كان شغال في سراية عابدين واللي اتجوز بعد كده بالأميرة ست الدار الله يرحمها وبعديه المعلم محمد الجزار صاحب مصانع القزاز اللي كانت بتاع توني .ومحلات العطاره الشهيره والأستاذ عنتر والله ما انا فاكره كان اسمه عنتر إيه.

اسمه عنتر أبوهيف من عيلة أبوهيف الكبيره بتاع باب البحر.

ثم سكتت ..

أكملت الحاجة:

ـ شباب ورجاله آخر تمام اتقدمو لها بس هي اللي خيبت سكتها، وحبت الواد أنور هنصور.

كان الاسم يخرج من بين شفتيها محملاً بسخرية مليئة بالدلع، فلم أتمالك نفسي وابتسمت ابتسامة عريضة، لم تكمل حين اندفع الباب الموارب اندفاعه أدت إلى ارتطامه بالكرسي الموضوع عليه صينية الشاي مما أدى إلى طيرانها بعيداً .هالني الجرم الصغير الواقف أمامي. كانت ترتدى جلباباً أبيض من البفته وشعرها الأبيض منكوش وبه ضفائر مصنوعة بعناية.

- اسمه الأستاذ أنور المنسترلى يا نعمه. أنا عارفاكى طول عمرك وانتى حطاه على رأسك وزاعقه.

ثم اتجهت إلىّ وقالت:

- عارف يا ابنى الفيلم بتاع أربع بنات وظابط اللى كان معروض الجمعة اللى فاتت بتاع أنور بيه وجدى؟

أومأت برأسى قليلاً ولكنها لم تلتفت إلى تلك الإشارة، وراحت تحكى قصة الفيلم حتى جاءت إلى قرب النهاية حين دخل أنور وجدى إلى فيلا عمته ومعه «البوكس»... ثم توقفت عن الحكى وقالت موجهةً إلىّ الكلام:

- أنت فاكر المشهد ده؟

هززت رأسى مرة واحدة لكنها أعادت السؤال مرة أخرى وقالت:

- أنت فاكر أما أنور وجدى دخل على المعازيم اللى كانوا فى الحفلة وهولابس بدلة ضابط، وقعد يتكلم مع الست أمينة رزق عن العروسة؟

أومأت برأسى مرة أخرى فقالت:

- أتكلم أنت فاكر ولا لأ؟

خرج صوتى متردداً وضعيفاً:

- أيوه فاكر يا حاجه.

- حاجه!! والله باين عليك ما انت فاكر.

ثم سكتت بضع ثوانى وأضافت:

- حاجه قال!

وابتسمت ببلاهة .لا أعرف لماذا أحسست بفوران الدماء فى رأسى، وتمنيت أن أصفعها على وجهها ولكنى قلت لها بغيظ:

- أيوا ياست فاكر أما أنور وجدى كان بيكلم أمينه رزق عن العروسة، وبالإمارة طلع فوق ولقى الأربع بنات حاطين الكراسى ورا الباب وكمان كاتب السناريو، كان حاطط كلام يتفهم على معنيين.. معنى على لسان أمينه رزق.. ومعنى على لسان نعيمه عاكف عاوزانى أحكيلك لغاية حكاية القطر كمان أنا تحت أمرك.

كنت منفعلاً تماماً وأنا أتكلم فلم أنتبه إلى لمعة عينيها التى كانت تحمل جمالاً غائراً، ولكنها أمسكت بيدى وقالت:

- أقف هنا أنت فاكر أما أنور وجدى نادى على العساكر؟

قلت لها: أيوه فاكر.

انتبهت إلى تلك اللمعة وذلك الجمال البعيد الذى يحمله وجهها، ولكنها أخرجتنى من تلك الحالة بهزة عنيفة بيديها وهى تقول:

أنت عارف العسكرى اللى قال لأنور وجدى تمام يا فندى؟

هززت رأسى فجذبتنى بيديها الصغيرتين وهى تقول:

- يعنى فاكره كويس؟

خرجت أيوه من فمى بصوت عالٍ فقالت بهدوء وحب وعشق ووله ودموع وكبرياء:

ـ هو ده الأستاذ أنور المنسترلى جوزى.

ثم خرجت مسرعة . كانت الحاجة نعمة تجلس على الكنبة صامتة تماماً وتضع يديها على رأسها المائل قليلاً .أمسكت بالصينية المرمية على الأرض، ووضعتها على الكرسى مرة أخرى، ثم أزحت الكرسى بعيداً عن الباب بجوار الحائط وتحركت قدمى لأجلس حين دخل الجرم الصغير مرة أخرى ومعها صورة قديمة وقالت:

ـ مش هو ده العسكرى اللى كان فى الفيلم؟

ورغم أن الصورة كانت من القدم بحيث اختلط على ـ فى بداية الأمر ـ وجود رأس واضح على الجسد الذى يقدم التحية فى الصورة لأنور وجدى، الذى كان واضحاً أكثر مما ينبغى إلا أننى قلت:

ـ أيوه هو الأستاذ اللى كان قايم بدور العسكرى الله يرحمه.

خرجت بعد أن أمسكت بيدى قليلاً، وسحبت منها الصورة بعد أن حددت ملامح العسكرى جيداً ، محاولاً تخزينها فى ذاكرتى حتى أستطيع مقارنتها بالشخص الأصلى حين أشاهد فى يوم من الأيام فيلم أربع بنات وضابط.

* * *

حسن ونعيمة

«أم الغايب»، هكذا كانوا يطلقون عليها .جاءت هذه التسمية إثر ظهور أم أحمد الصعيدية، التى أرادت أن تعرف اسم أحد أبنائها حتى تستطيع مناداتها فى الصباح لكى تذهب معها إلى العتبة التى لا تعرف الطريق إليها .انتفضت أم عمر التى كانت تجلس وسطهم وقالت لأم أحمد الصعيدية.

- تركيا لسه ما خلفتش.

- خلاص أنا هنادى عليكى وأقول يا ام الغايب.

نظرت تركيا إلى نعمة أم عمر التى حركت رأسها مع فمها علامة على عدم الفهم عند ذلك قالت لهم أم أحمد:

- احنا عندنا عيب ننادى على الست باسمها علشان الرجالة الغريبة عيب انها تعرف اسم الواحده، علشان كده أى واحده لسه متجوزة نناديها باسم جوزها أو أخوها لغاية ما تخلف، أما إذا اتأخرت فى الخلفه يا إما بنقولها يا ام الغايب لغاية ما ربنا يكرمها ويبعت لها الغايب..

كانت أم أحمد الصعيدية تتكلم، دون أن تضع فى مخيلتها أن تركيا لم تحمل حتى الآن ولو لمرة واحدة رغم أن عمرها تجاوز الثامنة والثلاثين .

نظرت نعمة إلى تركيا فرأت الدموع تترقرق فى عينيها فقالت لأم أحمد:

- طيب الصباح رباح.. أبقى قولى يا ام الغايب يا ام النايب وانتى رايحة المشوار الهباب بتاعك ده.

أحست أم أحمد بقسوة أم عمر عليها فأحمر وجهها خجلاً وحاولت الانصراف، لكن تركيا التى مسحت عينيها قالت لها:

- ما تزعليش من كلام نعمه أختى ،، هى طبعها حامى كده بس طيبة قوى.

بكت أم أحمد الصعيدية فقامت تركيا وذهبت إلى المطبخ لتصنع لهم عصير ليمون، عند ذلك وجدت نعمة الفرصة لتطيب من خاطر أم أحمد التى قد حضرت من أقصى جنوب مصر من مدة لا تزيد عن شهر وسكنت فى الدور الأول لبيت سليمان الحانوتى فى حارة على آدم، حيث تسكن تركيا منذ تزوجت من خمس عشرة سنة.

قالت وهى لا تنظر إليها:

- انتى حقيقى صعيدية يا أم أحمد !حد يقول لواحدة بقالها خمستاشر سنة ما خلفتش الكلام الدبش ده ؟

انتبهت أم أحمد إلى كلامها فقالت:

ـ صعايدة بقى يا ست أم عمر .

ثم قامت وحضنتها، وعندما دخلت تركيا وجدتها فى حضن نعمة التى كانت تطبطب عليها .وضعت صينية الليمون على الترابيزة وقالت موجهة الكلام لأم أحمد:

ـ مش قلت لك إن نعمه طيبه!! دى عشرة عمر هى والمرحومة أمها وتوحة ربنا يرجعها بالسلامة.

وما إن نطقت اسم توحة حتى اغرورقت عينا نعمة ولم تعد ترى من كثرة الدموع فأخذتها تركيا فى حضنها وراحت تهدأها وأم أحمد لا تعرف من هى توحة التى جعلت نعمة تبكى كل هذا البكاء.

فى الطريق إلى العتبة قالت تركيا رداً على سؤال أم أحمد:

ـ اسمها فتحية وكنا بندلعها باسم توحه هى أخت نعمه الكبيره .أكبر من نعمه بسنه واحده بس إيييه ربنا يرجعها بالسلامة إذا كانت عايشة أو يرحمها إذا كانت ميته بت كانت زى القمر... اتجوزت الأستاذ أنور المنسترلى، بعد قصة حب بولاق كلها تعرفها وشافت أيام عز صحيح. حاكم أنور كان ممثل.. هو مش ممثل مشهور زى يحيى شاهين أو شكرى سرحان ولا رشدى أباظة، بس مثل مع كل دول، وتوحه كانت معاه، وكانت بتحبهم قوى... وليها صور معهم عند نعمه، لكنه مات كافر .وليعوذ بالله . انتحر علشان كانوا هيقطعوا رجله.. بيقولوا شرب علبة برشام بحالها، وبعد ما مات أنور هجت توحه بقالها دلوقتى سنتين، والحاج محمود الفران ـ الله يستره ـ مش مخلى حته ما

رحهاش.. اللى يقول كانت ماشيه مع عماد حمدى قبل أنور ما يموت، وجاب لها شقة وعايشه معاه دلوقتى .. واللى بيقول إنها انتحرت زى أنور.. واللى بيحلف إنه شافها فى مولد المرسى أبوالعباس بتاع إسكندريه!! لكن الحقيقة يعلمها الله ... بس الله وكيل توحه عمرها ما كان مشيها بطال . هى بت كانت على حريتها ، يعنى رفضت تتجوز ناس كتير ، وصممت على أنور ابن البشكاتب جوز الست إحسان اللى عرفتك بيها الأسبوع اللى فات.. وبينى وبينك أنور كان يتحب أصله واد ابن أصل وكان غاوى تمثيل من صغره، ورغم أنه كان ماشى مع شلة بايظة إلا إنه كان غيرهم كلهم.. عمره ما لقح جتته على بت أو ست زى الشله بتاعته عزت أبو ركبة والواد الصايع محمد جورج وحسن العدل قبل ما يموت فى الحرب والأشكال دى .

كانت أم أحمد تسمع لتركيا وكأنها تسمع تاريخ المنطقة، التى أصبحت جزءاً منها.

لم تستطع أن تكتم الأسئلة الكثيرة التى تولدت داخلها من حكاية توحة، وما إن انتهت تركيا من الكلام حتى سارعت أم أحمد وقالت لها:

- هى كانت بتحب أنور ولا يحيى شاهين ولا شكرى سرحان؟

إنفجرت تركيا فى الضحك وقالت لها بعد أن هدأت.

- انتى ما دخلتيش السيما قبل كده ؟

ضربت أم أحمد بيدها على صدرها وكأنها مسها عفريت وقالت لتركيا:

ـ سيما إيه ومسخرة إيه، انتى عاوزه أهلى يموتونى.

عند ذلك أمسكت تركيا بيد أم أحمد واتجهت بها إلى سينما عماد الدين التى كانت تعرض فيلم حسن ونعيمة بطولة الوجوه الجديدة سعاد حسنى ومحرم فؤاد وعند خروجها كانت قد حفرت فى قلبها ورأسها ملامح سعاد حسنى لتقارنها بصورة توحة .التى قالت تركيا إنها تحفظها عندها وبمجرد وصولها إلى البيت. بعد إلحاح ممل وطويل من أم أحمد كانت تمسك بصورة توحة من يد تركيا لتقارنها بصورة سعاد حسنى فى فيلمها الأول بالنسبة لها ولأم أحمد الصعيدية، التى لم تترك أسبوعاً واحداً ، لمدة عشرة أعوام، لا تدخل فيه السينما مع تركيا، حتى اشترى لها زوجها تليفزيون أبيض وأسود.

* * *

كوب ليمون

قالت عنه بود:

- عارف الأستاذ عنتر أبوهيف، قعد سبع سنين يصرف عليّ وعلى فتحية وأمي .كانت فتحية تأخذ الفلوس من أمها وهي عارفه إنها فلوس عنتر وتجيب فساتين وجزم على الموضه وتمشي بيها مع الواد أنور. ومع إنه كان على طول بيشوفها مع أنور عمره ما منع الفلوس عن أمي. حتى بعد أما البشكاتب المنسترلي جه وخطب توحة لأنور، برضه الواد عنتر فضل يدى أمي الفلوس هيه ، هيه ، وكنت أسمعه يقول والدموع في عينيه:

- إذا كان ما فيش نصيب مع توحة برضه انتي زى أمي وهي زى أختي وملزومين مني. أنت تعرف والله أمي فعلاً حبت الواد عنتر، وكانت نفسها يتقلع لها عين وتشوف توحة متجوزة عنتر، وياما اتحايلت عليها ، وياما ضربتها .لكن توحة كانت معمول لها عمل بأنور، أمي كانت بتقول كده . وكانت بتروح هي وعنتر عند واحد مشهور

قوى فى الحسين بيفك الأعمال وياما شفتها تشترى أصناف غريبة من الطيور والديوك وفى الصبح توحه تروح مع أنور، وهى تمشى مع الأستاذ عنتر فى عربيته، وأنا كنت باساعدها فى رش الميه تحت سرير توحه، وعلى هدومها، وحاجات تانيه كتير مش فاكراها .يعنى مره صحتنى من عز النوم، وقالت لى يا نعمة :لو كنت بتحبينى وشاطره شربيها العصير ده !!توحه كانت فى عالم تانى .أنا كنت عارفه إن اللى فى الكوبايه مش عصير ولا حاجة، وأكيد .أكيد، حاجة علشان المخفى أنور، اللى ما كنش أبوه موافق على جوازه من توحة فى الفترة دى .والله العظيم أنا فاكراها وكأنها حصلت امبارح .طفيت النور ونمت جنبها بالراحه ومره واحده قمت وعملت مفزوعة .فقامت بعدى قولتلها خير مالك يا توحه ضحكت كده وقالت لى: انتى اللى مالك؟ عملت نفسى رايحة المطبخ وقعدت أقلب فى كوباية الليمون ودخلت عليها وولعت النور، كانت لسه بتفكر فى اللى حصل، بس النوم سلطان .قولت لها: فوقى واشربى دى يا توحه، بصت لى باستغراب وقالت لى: أنتى كنتى بتتفزعى جنبى خفت عليكى عملت ليكى اللمون ده .البت اتلهت، وبصت لكوباية اللمون وقامت مسكاها من إيدى وراحت شرباها ونايمه .أنا خفت لحسن تكون حاجه تضرها قعدت صاحيه لغاية الشمس ماطلعت .تصدق وتآمن بالله ، قامت وكأن ماحصلش حاجة، وعمرها مسألتنى عن كوباية اللمون دى أبداً.

* * *

أنـور هنصور

أبوه أنور هنصور كان واد جدع وحليوه .بس كان شايف نفسه قوى من يومه. والحق يتقال، أبوه كمان كان عايق .حاكم أنور ده ، كان حيلة أبوه وامه، الاستاذ المنسترلى البشكاتب الله يبشبش الطوبة اللى تحت دماغه .كان سيما وقيما ،والست أم أنور، كانت النسوان مسمينها أم قصة .حلاوة إيه، وغندرة إيه، ولوجه الله كانت ونعم الأدب .أمى كانت بتقول إن أبويا لما عيى واحنا صغيرين، ماكانش يستريح على إيد أى تمرجى يدى له الحقنة غير الست أم أنور، رغم أن أمى برضه دايما ،كانت بتقول عليه، إنه يحب الإيد الطرية .إلا أنها كانت بتشكر فيها وتقول عليها ست، و نعم الستات. أقولك الحق يا ابنى .أنا أعرفها طشاش، مش زى فتحية اللى قعدت عندها تلت سنين .يعنى ساعات كدة بيتهيأ لى إنى كلمتها وأنا صغيره وكلت عندها موز ومهلبيه، وساعات تانيه افتكر، إن اللى كلت عندها موز، وسرحت لى شعرى وضفرته وحطتلى ريحه، هى الست أم أبراهيم المسيحية ، اللى كانت ساكنه قصادها على طول. الله أعلم بالحقيقه فين . انت عارف . أنور

هنصور طلعت عليه الطلعه دى ليه . هو كان ساقط فى البكارولية مرة، والمنسترى افندى عرف إن النتيجة هتظهر الصبح ،والواد أنور كان سهران مع شلته فى السيما بتاع «على بابا »، زى العادة وراجع الساعة ١٢ ، والبشكاتب واقف فى البلكونه .استنى لغاية ما قرب هو والشله من البيت وقال له :

النتيجة بكرة يا انور، وأنت سهران مع شلتك فى السيما .دا الجماعة بتوع الاهرام، الجرنلجية جم علشان طلعت من الأوائل ، وكان نفسهم ياخدوا منك كلمتين، ويصوروك، والجدع الصحفى قعد يسأل .فين أنور علشان هنصور، وطبعا أنور هنصور فى السيما زى العادة .ما إن خرجت من حنك البشكاتب ، إلا والشلة كلها ماتت على نفسها من الضحك، ومن يومها ،وطلعت عليه الطلهة دى .أنور هنصور .رغم إن بعد كدة بقى مشهور، وعمل أفلام كتير قبل ما يتجوز فتحيه، وبعد الجواز الله يرحمه؟ كست نفسها بايديها .دا الواد ابن أبوهيف، كان هيموت عليها ،وكان أهله مبسوطين قوى، وفى الآخر اما اتجوزت أنور. اتجنن يا ولداه.

* * *

كان لابد من حل .حل سريع وعاجل، فأنعام ابنة السيد زغلول العريان، حامل فى شهرها الثانى .ولا يوجد فى بولاق أبوالعلا من لا يعرف هذا الخبر والفضل فى ذلك يرجع إلى عزت أبوركبة صاحب أنور المنسترلى ،الشهير بأنور هنصور .لكن الحقيقة التى يعلمها بعد الله .أنور وتوحة وحسن العدل وعزت أبوركبة وبالطبع أنعام بعد اتفاقهم

على الفكرة التى طرحها أبوركبة بشكل مختصر، الناس تعرف .الست امك تعرف، توافق وطبعا زغلول العريان هيوافق طالما أمك وافقت ،تتجوزوا فى أسبوع وبعد كدة هنلف بمنديل الشرف شارع الصحافة، وأبوالعلا كله ،ونقول يا صلاح الدم ساح .

السيد زغلول ، أبوأنعام، وفاروق، وأحمد .لم يصدق الخبر، ولم يكذبه أيضا .كعادته .فقط نظر إلى امرأته، التى أومأت بالموافقة وحددت مساء الجمعة موعداً للفرح، وحين مد السيد العدل يده لقراءة الفاتحة ،نظر إلى امراته مرة اخرى وشاهد بعينه، كما شاهد كل الحاضرين هزة الموافقة ،وحين ذلك، مد يده لتتحد مع يد السيد العدل. مساء الجمعة، حسب الموعد المتفق عليه ،كان الفرح .دخل أنور على الفرقة بعد أن نال كأسين وزجاجتين من البيرة، من كل من عبد الله المأمور ومحمد جورج .عندما اعتلى المسرح سكتت الفرقة تماما، وانسحب بعض الذين يمسكون فى أيديهم أرباع الجنيهات، ليخلوا المسرح ويترك عزت أبوركبه الميكروفون لأنور، الذى راح يمسى على كل اصحابه وأهله وعشيرته .كان يحدد الأسماء فى البداية، ثم وجد أن هذه المسألة صعبة جداً، وخيل إليه بعد شرب الكأس الثالث، الذى أعطاه له عزت أبوركبة الذى كان يقود الفرقة من فوق خشبة المسرح. وبعد أن شرب الكأس وصفق بعض أصدقائه ليحيوه على كيفية الشرب الصحيح .وجد أن حكاية الأسماء هذه مملة، وطويلة، ومن هنا قرر أن يكون «المساء بالمشاورة على الشخص ،ولمدة ثلاث دقائق، لم ينتبه إلى أنه يقول «المسا ده» .ثم يشير على شخص ما .ثم يقول «والمسا ده» لأخويا ويشير، وهكذا .حتى انتبه إلى ضحكات المعازيم وصوت

أبوركبة وهويقول له :الحلو اتسطل ونسى الاسماء .لما لم يفتح الله على "هنصور "بشئ ، وظل واقفاً على خشبة المسرح، ينظر إلى المعازيم فى بلاهة ، أصابته نوبة ضحك طويلة ، انفكت خلالها عقدة لسانه ، وفوجئ الجميع عندما استمعوا منه الى القصة كاملة ، حاول أصدقاؤه أن يوقفوه عن الكلام ، لكنهم فشلوا .ولحظ حسن السئ أوحظ إنعام .كان القران لم يعقد فوقف السيد العريان لأول مرة فى حياته ، وأعلن على الملأ قراره بعدم إكمال الفرح ، وبعدها بشهر، كانت أنعام زغلول العريان متزوجة من الحاج محمد الجزار، صاحب محلات العطارة الشهير بعد أن كشفت عليها أم حسنى الدايه.

***

دفنوه ورجعوا، وعملوا صوان، وسمعت إن الست زوز ماضى جت، والاستاذ أحمد رمزى ،وناس كتير من اللى بيمثلوا بس أنا كنت فى عالم تانى .لكن أنا فاكره انى سلمت على الأستاذ عبد الرحيم الزرقانى ، وأخوه الأستاذ محمد قبل ما اطفش بيومين .مش عارفه مين فيهم اللى ساب ظرف جواب على الترابيزه .أنا ماعرفش الظرف ده كان فيه إيه، بس نعمه بعد كده قالت لى :إنه كان فيه ميه وخمسين جنيه. أنا خرجت أدور على الترب اللى أدفن فيها أنور لقيت نفسى جنب الست نفيسة، دخلت .أنا عمرى ما صليت، ولا دخلت جامع قبل كده . قعدت جنب عامود شويه ولقيت واحده جت جنب منى وقالت لى تعالى معايا .أنا بصيت ليها كده، وسبتها ماردتش عليها .قامت ماسك إيدى وشدتنى .أنا كنت مش عارفه عاوزه منى إيه، دخلنا كدة حته فى الجامع، بس فيها نسوان كتير، وراحت مقعدانى وقالت لى: اقرا يا فتحية سورة ياسين .أنا ماختش فى بالى خالص إنها عارفه اسمى .قولت لها ماباعرفش اقرا . قالت لى: يا كذابه. زحتها بعيد عنى،

راحت ماشيه وشويه وأنا عماله افكر فى حكاية يا كدابه دى ، لقتها قاعده جنبى، وماسكه مصحف فى ايديها ،وراحت حطتهولى فى حجرى وقالت لى :اقرى يس يا فتحية .انتبهت أنا لحكايه فتحيه دى، لكن مشغلتنيش كتير، طلعت السورة اللى قالت عليها، وقعدت اقرا وهى تصحح لى، وعند «سلام قولاً من رب رحيم» ماشفتش حاجة خالص، غير وشها طالع من المصحف، وشويه لقيت إيدها طالعه وبتزقنى، بصيت جنبى مالقتهاش .لكن كانت لسه فى المصحف وعماله تقول لى اقرى بضمير يافتحية وشوية لقيتها جنبى تانى وبتقول لى كملى .كملت لغاية ما جيت عند «أو ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم» وعند الآية دى، وطلعت تانى من المصحف وقالت لى :أنا مستنياكى فى سيدنا الحسين أوعى تتأخرى .بصيت جنبى لقيتها قاعدة قفلت المصحف وخدتنى من إيدى وقالت لى :ماتزعليش يا فتحية، اللى مات مات.المهم انتى ربنا بيحبك، أوعى تنسى المعاد ، هب فص ملح وداب، زيها زى الهوى. تصدق وتآمن بالله، لسه داخله الحسين لقيتها ماسكة شقة فول نابت وقلت لى كلى واشكرى يا فتحية .خدتها من إيديها ومن يومها ما اروحش مولد إلا اما تقابلنى ،تدينى شقة الفول النابت وفى لحظة واحدة تختفى، وبعد تمن سنين لف فى الموالد لقيتها قالت لى :روّحى لاختك يا فتحية، علشان نفسها تشوفك، بس أوعى تنسى ربنا وهستناكى كل سنة فى الحسين.

* * *

الأسطى حسن

أنا كان لازم أهج. تلت تيام وهب فص ملح وداب. كان نايم على السرير وعمال ينازع دخل الدكتور وبكل سهوله وببرود قال لى :لا بد من قطع رجله .أنا سمعت الكلمة منه وعاديك .ماعرفش أنا عملت إيه .بس كل اللى فاكراه ، إنى لقيته فى حضنى وأنا بقول له هيقطعوا رجلك يا أنور .عمرى ما شفت فى حياتى نظرة فى عين حد زى النظره دى .وفى لحظة واحدة وشه اتغير، وكأنه خد قرار وقال لى: ماتزعليش منى يا توحه. أنا كنت فى عالم تانى، مش عارفه بيقول لى متزعليش ليه .خدت راسه فى صدرى ، وقعدت اعيط شوية وقال: ماينفعش يا توحه، والله ما ينفع، فسامحينى وماتزعليش منى .قولت له، هو أيه اللى ماينفعش، وإيه اللى مزعلش منه يا أنور .طبطب على ظهرى وقال :ولا حاجه آه لو كنت فهمت :الكلام كان باين قوى .بس أنا اللى مافهمتش خالص .ده واحد بيقول ماينفعش .بعد ما عرف إن رجله هتنقطع، وبيقول ماتزعليش منى، وسامحينى .أى حد فى الدنيا يعرف على طول إنه قرر ينتحر .بس أنا ماكنتش فى وعيى. عارف أنا

لما هجيت من شقة أمى. حاكم الشقه دى بتاعة أمى، ولغاية دلوقتى بتاعتها ـ الله يرحمها ـ يا ما حاولت تجوزنى عنتر أبوهيف، والله الجدع ده كان كويس، ويتمنى لى الرضا أرضى، وكانت عيلته مبسوطه قوى .حاكم أبوه كان عنده عزبتين فواكه .اضحكك .فى يوم أنور جاب لى صورة وهو بيبوس زوز ماضى ،فى فيلم الأسطى حسن . أنا النار كلتنى .رجعت البيت لقيت عنتر قاعد مع أمى شافنى من هنا. وقام علشان يستأذن .كان بيحبنى قوى ومايقدرش يبص فى عينى .مش عارفه إزاى .أنا أما لقيته بيستأذن رحت قايلة له :انت مش رايح عزبة من بتوعك قريب .بص فى الأرض وقال لى .رايح بكره العزبه بتاع بنها .قلت له أنا هاجى معاك .بص لأمى وبص فى الأرض وقال لـى :أنا هفوت عليك بالعربية الصبح، وراح ماشى أنا ماعرفش سألته ليه ولا أنا هاروح أعمل معاه إيه ولكن فكرت إنى أتصور معاه وهو بيبوسنى وأغيظ أنور .حركات بنات بقى .فات الصبح بدرى علىَّ قلت لنعمه قولى له مش رايحه .أمى دخلت علىَّ بمجرد خروج نعمه وهى ماسكة الشبشب وحلفت برحمة أبويا، أن ما قمتش لتضربنى لغاية ما أموت .أنا لقيت نفسى فقت خلاص قلت أمرى لله لبست وخرجت له .وفى العربيه سألته عن الكاميرا قال إنه ماعندوش .قعدنا فى ميدان الأوبرا من الساعة سبعه وربع لغاية تسعه . اشترى الكاميرا .وكنت أول مرة أعرف إنه تاجر ناصح قوى وشاطر مع الناس .ومعايا يحط عينه فى الأرض ،أنا عارفه حب إيه ده اللى يخلى الواحد مكسوف .المهم اشترى لى من المحل ساعة وراديو وكان نفسه يجيب لى حته من السما .رحنا العزبة سابنى وقال لى: ساعة واحدة أخلص الشغل وارجع

أفرجك على العزبه. حتة السرايا مليانه من كافة شئ . جابوا لى فطار، قشطة وعسل ولبن رايب وبيض بيشر سمنة ،وعيش وفطير وجنب كل ده، صينيه مليانه فواكه من كل نوع .أنا ماتكسفتش ورحت واكله على الآخر، ماغبش يجيى نص ساعة ،ولقيت عنتر جاى بيجرى، وكأنه كان فى سبق .نفسه مقطوع واللى طالع عليه .أهلا وسهلا شرفتينا ونورتينا ،وكل السلامات اللى فى الدنيا تصدق وتآمن بالله، أنا فكرت فى اليوم ده إنى اتجوزه بجد .بس رجعت فى كلامى على طول . دخلنى الجنينه وقعد يصورنى فى وسط الشجر، وبعدين قلت له :أنا عاوزه اتصور معاك، سرح كده يجيى خمس دقائق وهو مش مصدق خالص، وراح نادى شاب كده عنده يجى ١٧ سنة ، عرفه التصوير إزاى، ووقفنا جنب بعض، قمت أنا حاطه إيدى على كتفه، بص ناحيتى والله أنا فاكراها زى دلوقتى .ارتعش وكأنه مسكته الحمى .الواد لسه هياخد اللقطة قمت بيساه فى خده، وكأنه هو البت وأنا الواد. انكسف وخد الكاميرا من الواد وتانه يجيى ربع ساعة مدارى وشه بعيد ،وكأنه عمل عملة .ورجعنا، وجاب لى الصور بعد يومين، والله لأوريك واحدة منهم لسه عندى .انتفضت واقفه وجاءت بصورة لها وهى تقطع برتقالة من الشجرة .كانت زاوية التصوير سليمة ،مما جعلها تبدو فاتنة .بل فاتنة جداً .أخذت الصورة من يدى، بعد أن تركتها دقائق وقبلتها قبلات سريعة وعصبية، وتركتها تسقط فى حجرها ثم قالت:

كان لازم يتجنن .أنا كنت حلوه قوى، وهوكمان كان بيحبنى قوى، وبمجرد دخلتى على أنور أتجنن . أنت عارف، أنا شفته فى مولد أم

هاشم وهو ما عرفنيش .بس أنا عرفته على طول .كان عليه عيون، والله يا ابني عيون الخالق الناطق الأستاذ أحمد سالم الممثل، بس أنا مارضتش أكلمه ،أكلم مين يا عم .ده فى عالم تانى .دقنه طول كده، وهدومه مقطعه، وماسك فى إيده عصايه كده، زى نبوت الغفير، ومليانه سبح، ربنا يشفينا ويشفيه.

***

الست أم إبراهيم «الربعية» كما قال عنها سيد محمود فى لحظة خروج نفس الحشيش وهو يجلس بجوار المعلم محمد الجزار.

«ربعية» حاجة كده طرية ،من كل حته، وأخوك بيحب الطرى. حاكم سنانى وقعت، من ساعة ما شفتها .

المعلم محمد الجزار الذى يجالس سيد محمود زوج الست نظيمه من أجل عيون ابنته توحه ضحك كثيراً ثم قال لسيد :

- وإيه رأى الحلو فى اللى يرجع له سنانه.

ابتسم سيد محمود ابتسامة خفيفة وهو يسمع لكلام الجزار .أيوه الصنف حلو لكن كلام الجزار برضه حلو .هذا ما ردده سيد لنفسه بصوت ربما تعمد أن يسمعه للمعلم محمد، الذى لم يلتفت إليه وقال له:

- ماقلتيش يا معلم سيد: إيه رأيك فى اللى يأكلك الحلو تانى .

-معقوله يا معلم .دا يبقى جميل كبير قوى .حد طايل سنانه تمسك الحلو والطرى تانى .ثم هز رأسه قليلا ونظر إلى فوق كمن يتأكد من هبوط مائدة من السماء .وقال مرة أخرى: طرى قوى وحلو وحياة

سيدنا محمد وموسى وعيسى علشان خاطر الحبايب .وحرك فمه قليلاً كمن يتأكد من جودة الطعام قبل الشراء .ثم ابتسم ابتسامة يعرفها المعلم محمد جيداً وقال:

ـ حلوه بجد .

فقال له المعلم محمد ليتأكد أنه على خط واحد مع سيد :

ـ هى إيه اللى حلوى يابو السيد .

استقبل سيد سؤال المعلم بهدوء وكمن يعرف أن هناك بيعاً وشراء فى هذه الجلسة.

وقال للمعلم بخبث:

ـ ليلتك هى اللى حلوه، وكل اللى بيتقال فيها كمان حلو.

اعتدل المعلم محمد على الشلتة ، وأحس بأنه قد دخل إلى الموضوع الذى خطط له منذ أسابيع طويلة وللمرة الأولى منذ بداية الجلسة يأخذ نفساً عميقاً من الصنف، فقد أحس بنشوة الفوز أو على الأقل تخفف من حمله ودخل الموضوع الذى أرقه كثيرًا فى الأيام السابقة .أخرج الدخان من فمه وأنفه بهدوء وهو ينظر لسيد بامعان، ثم أعطى المبسم لسيد وهو يقول له .

ـ أحسن نفس لأحسن نسب .

كان يحاول أن يؤكد على كلمة نسب .مما جعلها تخرج من فمه طويلة جداً ، ومملة .كان يعرف أن الرجل الذى أمامه رجل عاش فى

الحياة بالطول والعرض وأضاع فرصاً كثيرة من أجل النسوان والصنف، لذلك فقد جاء اليوم بأفضل الأصناف، ودخل إلى لب الموضوع .

-إيه رأيك يا ابو توحه .

صمت سيد وكأنه فوجئ بطلب الجزار ولكنه ضحك فى نفسه .فما لا يعرفه الجزار أن سيد كان هو الذى خطط لتزويج ابنته من المعلم وما لم يفكر فيه المعلم الجزار أبداً .أن موضوع أم ابراهيم .زوجة المقدس رياض .كان أحد خطط سيد مع عباس صبى قهوة إبراهيم عجورة بمجرد أن أحس أنه مزقوق عليه ، ليعرف أخباره من طرف المعلم محمد الجزار .اما الست أم ابراهيم التى لا تعرف شيئًا عن دخولها المزاد .الذى أقامه المعلم الجزار .فلقد كانت بالفعل جميلة «وربعية» لكنها كانت أبعد ما يكون عن رأس سيد، الذى أخرج النفس الأخير من الشيشة، ثم وضع المبسم على الأرض، ومد يده للمعلم الجزار وقال له بهدوء ،وابتسامة الفوز على فمه :

-إيدك نقرا الفاتحة يا معلم محمد .

ولهف منه بعد ذلك المهر، الذى كان عبارة عن مائة وخمسين جنيها، وكان بالفعل على استعداد أن يزوجه ابنته ،ولكنه قتل بعد ذلك بشهرين ،على يد أحد أقارب أبو حسين الصعيدى، قبل أن يفى بوعده للمعلم محمد الجزار، الذى تزوج بعد ذلك كثيرات ،ولكنه لم يفز بتوحه التى أحبها كثيرا حتى مات .

***

قالت عنه:

ـ أنا قلت لك إن الحاج محمود الفران كان ثورى كبير .كبير قوى . مسكوه سنة ٥٤ كنت حامل فى عثمان فِضلِ محبوس سبعه شهور . حاكم الحاج كان من الإخوان المسلمين .بس الإخوان بتوع زمان مش حبة العيال بتوع اليومين دول، اللى بيضربونا عمال على بطال .ويقولوا إن أموال المسيحيين غنيمة !!يعنى إيه غنيمة ،واشمعنى المسيحيين .ده الحاج محمود ـ الله يرحمة ـ كان دايما قاعد مع الأسطى رياض أبو منير، والأستاذ اسكندر .والله العظيم الأستاذ اسكندر أبو مينا. كان بيشيل التراب ويحطه على دماغه ساعة، موت الحاج والست بتاعته – الله يقدس روحها ـ كانت اختى وحبيبتى وماكانتش تعمل أى أكل ،إلا أما تبعت مع مينا منه .أنت عارف أما طاهرنا عمر وعلى .طهرناهم عند الدكتور أبوبكر اللى عيادته فوق شقة الأستاذ اسكندر، ولسه نازلين بيهم وأبو مينا حلف بالمسيح الحى ما ينزلوا إلا على

رجليهم وقعدوا عندهم ييجى خمس تيام، وبالعافية اخدناهم .وكانت الست أم مينا هى اللى مرعياهم وهى اللى بتغير على الجرح وكل يوم تعملهم فراخ وفى الآخر وهما نازلين على السلم ، والأستاذ اسكندر كان راجع من الشغل، قام مطلع المحفظة ، ومدى كل عيل جنيه بحاله، وقال علشان مافضتش أجيب لهم هدية .بعد كل اللى عملوه مع العيال ، كمان كان عاوز يجيب هدية .ناس ولاد أصل .مصريين زينا زيهم وليهم دين زى ديننا كل حاجه عندنا عندهم .دول بيصوموا اكتر مننا بشهور .دا احنا فى رمضان بناكل كل يوم لحمه هم بيقعدوا ٥٥ يوم من غير لحمه وفى الآخر يجى حبة عيال. يقولوا غنيمه .غنيمه إيه. وخرا إيه؟ الجماعة كانت زمان .أيام الحاج محمود وبس .وزى ما أنت عارف ،الحاج كان ابن خالة يوسف بيه صديق ،اللى قام بالثورة. حاكم يوسف بيه هو اللى طلع بالكتيبة بتاعته ومسك اللواء مكى ، وعابدين الساعة ١٢ بالضبط ، وعبد الناصر نفسه فوجئ إن يوسف بيه عمل كده، بعد ما كان أجل معاد الثورة تلت تيام، وفى الآخر يحبسوا يوسف بيه ،علشان بعت جواب لمحمد نجيب يقوله فيه: «مش عارف من مين، الحر اللى مسكينوه .إلى مين المسجون اللى سيبينوه». اصله كان عاوز الضباط بتوع الثورة يرجعوا تانى الجيش ويسلم البلد لناس من الوفد والإخوان علشان الشعب يحكمه الشعب .مش الجيش .الكلام ده سمعته من بق يوسف بيه سنه ٦٥ ، بعد ما سمعته من الحاج نفسه، بعد أما طلع من المعتقل .علشان كده أنا عارفه وحافظه أسماء كتيرة من بتوع الثورة، اللى مسكوهم مع الحاج زى عبد المنعم عبد الرءوف وحسين حموده وأحمد شوقى، بس مش الشاعر القديم .على فكره

يوسف بيه صديق كان شاعر كبير، وياما الحاج سمعنى شعر له .أنـــا ماكنتش بافهمه قوى، بس كنت باحب أسمع الكلام بتاعه، وكان محتفظ بكتاب فيه أشعاره، الكتاب ده مره ،الواد على مسكه ونزل بيه الشارع .الحاج شافه من هنا واتجنن .وضرب الواد ياعينى علقه وهو اللى عمره ما مد إيده على عيل من العيال .أنا قلت له ليه ياحاج كده. دا احنا ياما قطعنا كتب وعملناها قراطيس زمان .زعق فىّ وقال لى: إن الكتاب ده، لو الحكومة مسكته هتودينى المعتقل تانى .ده كتاب أشعار يوسف بيه، تصدق يا ابنى، إن واحد قام بالثورة لوحده، وكان ممكن يتعدم لو فشل . يبقى مصيره كده .اللى يتمسك عنده كتابه يعتقلوه .يا الله ، كلهم ماتوا، ومابقاش غير السيره، الله يرحم الجميع .

* * *

«زغلول العريان» فقط اسمه هكذا .لا يعرف لماذا اختار أبوه له هذا الاسم المركب .كما لا يعرف على وجه الدقة لماذا يضحك الناس لمجرد ترديد الاسم .ربما يرجع الفضل فى ذلك إلى الأستاذ على عبد الحليم مدرس اللغة العربية .فلقد شاء حظه العاثر أن يجلس فى الدكة الأخيرة ،ولما كان الأستاذ على ذا خبرة طويلة فى مجال التعليم .اتجه بسؤاله الأول إليه مباشرة، ولما لم يسمع منه إجابة .سأله عن اسمه. فقال له بصوت هامس وذليل:

- زغلول العريان أبوالريش .

ما إن سمع الأستاذ الاسم حتى ضحك .مثله مثل غيره .وبالتأكيد هذه الضحكة كانت على المفارقة الواضحة فى الاسم فقط، وبالتأكيد أيضا أن تلك الضحكة لم تكن هى الوحيدة المسئولة عن شهرة السيد العريان، فهناك أيضاً تعميم الأستاذ على عبد الحليم على أن يطلق اسمه على كل تلميذ فاشل، حتى أصبح الاسم بعد الاسبوع الأول فى مدرسة

الخازندار الابتدائية هو مضرب المثل فى الغباء، وهكذا ترك السيد زغلول المدرسة، وصار يتخوف من كل مناسبة ومكان يتحتم عليه قوله، وربما لذلك لم يسمعه أحد من أهل بولاق أبوالعلا يقول اسمه مرة، واحدة، ولكن لماذا رفض العريان زواج ابنته أنعام من حسن العدل فهذا هو السؤال الذى حير حارة على آدم، والنزهة، وعطا احمد، وعب أبوطالب، وزقاق مينا، وعطفة شامخ ، وأبو مالك وشارع أبو طالب وظل يبحث عن إجابة له منذ أسبوع .دون أن يفوز أحد بإجابة شافية عليه ، كما لم يستطع أحد الإجابة أو حتى تصديق تلك اللهجة التى تكلم بها فوق خشبة المسرح وبعد أن خطف الميكروفون من أنور وقال بصوت غليظ ، أو تعمد أن يكون غليظاً عكس شخصيته قولته المجلجلة ، التى أصبحت نشيداً يردده أهل بولاق فى جلساتهم:

ـ أنا السيد زغلول، بارفض جواز بنتى من الصايع حسن العدل.

وذلك قبل أن يترك الميكروفون. يسقط على خشبة المسرح، وينزل ليسحب يد ابنته أنعام وسط ذهول الجميع .

* * *

فتحية اتجوزت من هنا، وأنا بعديها بشهرين تلاته، الحاج محمود الفران كان قايل عليّ من يجيى سنتين .هو شاف أنور اتجوز، طلعت في دماغه وقال لأمى إنه عاوز يخش عليّ هنا .أمى فى الأول مارضيتش، وبعدين وافقت .قام رايح داهن الشقة، وجاب أوضة نوم، ونجِّد أربع كنبات وكلفت الحكاية بتلتين جنيه. تصدق وتآمن بالله، البت المفعوصة جيهان اللى دخلت الشاى دى، عندها ١٦ سنة ومكلفانى لغاية دلوقتى خمس تلاف جنيه ولسه عاوزه لها شئ وشويات، علشان أما يجلها عدلها أقدر استرها كويس .حاكم أنا خلفت سبع عيال ، أربع بنات وتلت صبيان .عمر وعلى وعثمان ورقية وأم كلثوم وفاطمة والمفعوصة الأخيرة دى بقى إخواتها هما اللى سموها جيهان.كان المرحوم سايبها أمانة فى بطنى قبل ما يموت بشهرين. الحاج محمود الفران اتجوزنى من هنا، وربنا فتح عليه بعد ما كان شغال عند الحاج ابراهيم« أبوسعدية» بتاع التموين ،فتحنا دكان بقاله

صغير كده، في شارع الشيخ سليمان، اللي ورانا على طول، والله يـ
ابني كنت طول الليل أعمل قراطيس الشاي والسكر، وبالنهار أعمل شغل
البيت والحاج يروح مشوار ينادى عليّ .أنزل أقعد في الدكان .لغاية مـ
ييجي، وربنا كان مديني صحة تقولش جمل .لقمة الصبح، شوية عسل
أسود وطحينه أو طبق فول بالليمون، ممكن أنسى الأكل يوم بحاله.
رغم إني كنت باعمل أكل للحاجه وللحاج، والشغل كان بيني وبينك:
بينسى كل حاجة، وتعبنا كتير، وشفنا أيام أسود من قرن الخروب .الله
لا يوريك .بس ربنا فعلاً .بيدي البرد على قد الغطا، وكل عيل برزقه.
يعني عمر الأول .كنا يادوبك عايشين .يدوبك عثمان نزل ،كنا أجرنا
الدكان .هب وجت رقيه ودى من يومها يا ابني وش سعد .أبوها كان
لسه طالع من المعتقل، والدكان كان يادوبك مقضي الحال، هي نزلت
من هنا والخير قال خد عندك .حتى على جوزها ،دلوقتي بسم الله ما
شاء الله .كان يادوبك كهربائي على قده أما خطبها، دلوقتي بقى عنده
محل كهربا كبير في حته اسمها المعصره ناحية حلوان وبيت أربع
تدوار .شقتها بقى فيها كل حاجه حتى الغساله جابتها وأبوه بيقول: رقية
دى بنتي .لكن حسن حيله جوز بنتهم، وهي والحمد لله مريحاهم على
الآخر .ربنا يديك طولة العمر وتشوف بنتك زى رقيه يا رب.

* * *

لم تنتظر أم حسنى طويلاً فمجرد أن طلبها الحاج محمد الجزار للذهاب اليه ، كانت تضع الطرحة السوداء على رأسها وهى تنزل السلم. محمد الجزار، سيد الحتة وصاحب اليد السخية دائما .فى الطريق إليه ،كانت تحدد مزايا كل عروس وعيوبها .ولقد كانت تقول دائما العيوب قبل المميزات ،وذلك خوفاً مما حدث لها فى بداية عملها كداية وخاطبة، وكثيراً ما تندرت بهذه الحكاية، إما للتدليل على صدقها الذى -يعمر البيوت- أوللتدليل على سعيها فى إنهاء الزيجات، رغم ما حصل لها ، ولهذا كانت دائما تستفيد من المطب الذى حدث فى بدايه حياتها .كانت قد رتبت فى رأسها أسماء العرايس اللاتى يلقن بالحاج محمد فى رأسها، وكانوا ثلاث بنات .سعاد ابنة أبو الخير، التى تسكن فى حارة أبو آدم التى رجحت كفة مميزاتها على كفة عيوبها حتى باتت هى العروس رقم ١ فى القائمة، التى سوف تعرضها على الحاج. شريفة المتولى، التى ورثت بيت ملك فى حارة النزهة، ومحل أمام جامع السلطان أبو العلا، بفضل أمها "الجلدة ،التى تأكل مال النبى، ولم

تحاسبها على موضوع مرفت أخت شريف حتى الآن .إلا أن الحق حق .كما أن الحاج الجزار لا يترك للآخر شيئاً .فهو دائما ما يعطى ويزيد .مما يجعل الطرف الثانى فى المصلحة دائماً صاحب عبارة: زيادة الخير خيرين .هذا إذا جاء من أم شريفة شئ على الإطلاق .أما آخر ما وضعتها أم حسنى فى حوزتها فهى فريدة .بنت الصول عبده وهى لوجه الله تعالى، حسب تعبير أم حسنى، قمر وكل صفاتها حلوة ما عدا صفة واحدة فأبوها يأخذ من الناس رشوة حين يقضى لهم مصالحهم، وأم حسنى شاهدة على ذلك .فلقد أخذ منها ٥٠ قرش بالتمام والكمال ،من أجل أن يختم ورق البطاقة للمحروس ابنها .طرقت الباب ففتحت لها ألطاف .آخر زوجات الحاج محمد .حين رأتها تغير وجهها وسألتها عن سبب الزيارة، فقالت بخبث و لوع:

ـ أنا قاصدة الحاج فى خدمة.

فقالت لها الزوجة، التى أحست بطلقة نار تخترق جسدها، وتستقر فوق القلب تماماً:

ـ قبل الجواز تبقى خدمة .ثم نظرت فى عينيها تماماً وأضافت :وبعد الجواز تبقى بلوه، ربنا يستر من دخلتك علىّ.

جاء من بعيد صوت المعلم الجزار وهو يدعوها للدخول.رسمت على وجهها ضحكة وهى تمر من بين فتحة الباب وصدر ألطاف التى تبعتها بعد أن ضربت الباب بيديها فأغلقته محدثة صوت ارتطام قوى.

ـ أهلاً وسهلا يا أم حسنى خير إن شاء الله.

ـ خير يا حاج .هو أنا بجيلك إلا للخير، وفى الخير.

ضحك الحاج محمد الذى كان يجلس على كرسى مذهب وأمامه صينية مليئة بأنواع شتى من الفاكهة وفى يديه مبسم الشيشة .جلست أم حسنى بجوار الولد الصغير الذى كان يشعل النار عند قدم الحاج وجلست ألطاف على كرسى بجوار الباب .تنحنح الحاج وهو يرمى بدخان الشيشة فى الهواء ثم قال لأم حسنى:

ـ أمرك يا أم حسنى عاوزه فلوس عاوزه خدمه أى حاجة دا انتِ جلابة الحبايب، وأشار بيده على زوجته التى تجلس على كرسى بعيد بجوار الباب.

ـ فلوس إيه .دانت خيرك مغرقنا .الحكاية إنى عاوزة أشوف للواد ابنى شغلة فى الحكومة وقلت مفيش غيرك يقضى لى المصلحة دى.

ـ إن شاء الله يوفقنا ربنا ونجيب له شغلة كويسة .ثم اتجه بنظره إلى ألطاف التى كانت تنظر بكره واضح إلى أم حسنى وقال لها .أم حسنى مش غريبة .بس الواجب واجب أعمليلها شاى وأبعتيه مع الواد حسن.

وخبط حسن الذى كان يحاول إشعال النار بخرطوم الشيشة على رأسه وقال له:

ـ روح هات الشاى من أبلتك وهات كمان حتة ولعة ،بدل النفخة الكدابة دى .انسحبت الطاف وهى تجز على أسنانها ، وما إن خرجت حتى قالت أم حسنى:

أنا عندى ليك تلت قمرات ، وإنت اختار، ثم قالت أسماء البنات الثلاثة ،ولم يدعها الحاج تبرز عيوبهم ومميزاتهم وقال لها:

- أنا اخترت خلاص.

فاجأها رد الحاج محمد، مما جعلها تعيد أسماء البنات مرة أخرى، لكنه قال ?أنا بقولك أنا أخترت خلاص إحنا هنقرأ فى سورة عبس. تغير وجه أم حسنى وسكتت قليلا ثم قالت:

- طالما حضرتك أخترت إنت عاوزنى فى إيه، أروح أخطبها لك، ولا أجس نبضها .أظن تبقى عيبة يا حاج .أنت سيد العارفين .أنت تخش الباب من غير إحم ولا دستور .دا أسمك بس كفاية .وغنى عن أى استئذان.

ابتسم الحاج محمد من هذا الإطراء ، مما جعله يضحك ضحكة قصيرة وقال لها:

- أنا عاوزك تكشفى عليها، وتقوليلى الموضوع حقيقى بتاع البت أنعام ولا الطبق مكسور.

لم تعرف أم حسنى بماذا ترد على كلام الحاج ،محمد الجزار، فمن ناحية هى خالة أنعام، ومن ناحية أخرى الكلام الذى قيل عن أنعام وحسن العدل يجعل الحاج صاحب السمعة الجيدة ،ومصنع الزجاج ،ومحلات العطارة يبتعد عن هذا الموضوع .أخرجتها الطاف التى أحضرت الشاى من تفكيرها .نظر الحاج إلى الطاف التى وضعت صينية الشاى وهى تقول:

ـ عيب يا حاج ،حسن ،يقدم الشاى لأم حسنى .دى حبيبتى.

كانت الكلمات تخرج من فم ألطاف بطريقة تعرفها أم حسنى جيداً، ومن أجل ذلك ردت بكلمة أشعلت النار التى فاحت رائحتها فى كلام ألطاف:

ـ إن شاء الله نشرب شربات عن قريب .

ثم نظرت إلى عين ألطاف المشتعلة وأضافت شربات: خلفك عن قريب.

خرجت الزوجة ،بعد أن عرفت كل إجابات الأسئلة التى كانت تدور فى رأسها، منذ فتحت الباب لتجد أمامها أم حسنى .دخل الولد الصغير ممسكاً بطبق ملئ بالنار وجلس بجوار أم حسنى ،التى كانت تستعيد لحظة انتصارها على الزوجة ،الرمة، كما قالت فى نفسها .قال الحاج لينهى الكلام:

ـ انتى شوفى اللى قلت لك عليه .وردى علىّ الأسبوع الجاى فى الدكان.

انسحبت أم حسنى دون أن تضع فى فمها أى شئ .بعد أن عللت ذلك بأن أولادها ينتظرون رجوعها على العشاء، ولولا معزة الحاج ما خرجت من بيتها والطبليه محطوطه.

* * *

هى الأميرة «ست الدار» التى يقول عنها الحاج «محمد الجزار» فى لحظات الصفا .ست الدار، ويسكت قليلا وهو يهز رأسه الملئ بأنفاس الحشيش، ويضيف قائلاً: فعلا ست الدار .بس حظها وحش، اتجوزت محمد الأمير، يدى الحلق للى بلا ودان.

ست الدار، ابنة المستشار طلخان نوح «مستشار الوجه البحرى، ابنته الوحيدة الوارثة عنه ذكاءه الحاد، وطيبته ومائة وعشرين فداناً وعزبتين، بعد مشاركة الأعمام فى الميراث .أخذت عن زوجها الأستاذ محمد الأمير اللقب، فصارت الأميرة ست الدار، ورغم أن الألقاب قد ألغيت بعد قيام الثورة، إلا أنها احتفظت بذلك اللقب، من القاصى والدانى، حتى ماتت عام١٩٨٠ . تزوجت الأستاذ محمد بعد قيام الثورة بسنة وشهر، وبعد تأخر عن الموعد المتفق عليه بثلاث سنوات .كان مازال يعمل فى سراية عابدين .

حين خطبها وقامت الثورة واستغنت عن كثيرين ،لم يكن يربطهم بالأسرة الحاكمة غير العمل، وكان هو من الذين استغنت عنهم .رغم أنه ظل أسبوعاً كاملاً يتبع الناس الذين يمشون فى الشوارع مهللين بالنصر العظيم، دون أن ينتبه .أنه فى نهاية الأسبوع كان فى الإسكندرية، ولما عاد وجد أن الثورة التى حلم بها على مدار سبع سنوات، هى عمر عمله فى سراية عابدين، قد استغنت عنه .

لم يجد أمامه غير العمل عند نسيبه المستشار طلخان بعد أن ظل عاماً يكتب التماسات للجنة العالية لقيادة الثورة، دون أن يفوز ولو بمجرد رد صغير يعضد إيمانه بالأبطال الذين قاموا بالعمل الذى خطط له ذات مساء وكاد يحققه، حين وجد الملك أمامه، وكان منذ خطط لهذا العمل يحمل مسدساً ولكنه تراجع فى اللحظة الأخيرة، تاركاً المهمة لهؤلاء الأبطال الذين لم يردوا عليه بكلمة تطمئنه على صحة إيمانه.
كان قد مضى على وفاة المستشار طلخان نوح ستة أشهر ،حين دخل محمد الأمير بست الدار، بعد فرح أقامه أعمامها أحياه كارم محمود، ورقصت فيه ساميه جمال .كانت ست الدار قد رفضت الإقامة فى بلدتها، كما رفضت أن تعيش فى شقة صغيرة ولم يجد محمد مفراً من بناء فيلا تليق بأحلام وأموال ست الدار.

كانت سينما الأزهار التى على بعد أمتار من سينما على بابا معروضة للبيع .كان صاحبها الخواجة سمعان قد قرر الخروج من مصر، قبل قيام الثورة بأيام .خوفاً على حياته .استغل محمد الأمير الفرصة واشترى من الخواجة السينما وقام بهدمها وأقام سراية للأميرة

ست الدار، التى ظلت تعيش بها سبعة وعشرين عاماً قبل أن يفاجئها مرض السرطان بعد زيارة أنور السادات وسلامه على الخواجة سمعان وتموت تاركة محمد الأمير، يفكر فى إيمانه باللجنة العالية للثورة وأبطالها بداية من جمال عبد الناصر ، وانتهاء بأنور السادات.

* * *

كان قد مضى أسبوع كامل، منذ أن نزل السيد زغلول العريان، الذى أصبح حديث الساعة فى بولاق أبو العلا من فوق خشبة المسرح، وأمسك بيد ابنته أنعام التى كانت جالسة فى الكوشة بجوار حسن العدل ومضى بها فى خطوات شبه منتظمة، وكأنه فى مارش عسكرى حين دخلت أم حسنى إلى شقة السيد العريان .أم حسنى هى أخت الست أحلام زوجته وبذلك فهى خالة العروس المنكوبة .ورغم أن أم حسنى تسكن فى عطفة شامخ .التى لا تبعد كثيراً عن عب أبو طالب، الذى يسكن فيه السيد العريان وأولاده ، إلا أن زيارتها لأختها قليلة، ولا يرجع ذلك إلى سوء العلاقة بين الاختين .كما لا يرجع أيضاً إلى عدم احتفاء زوج أختها السيد العريان بالزيارة .فقط ندرة الزيارات سببها الأساسى والوحيد، هو إنشغال الست أم حسنى فى الحياة ، فهى تعمل داية وخاطبة وفى رقبتها بيت ملئ بستة من الأنفس، تتراوح أعمارهم ما بين العشرين والخمس سنوات، هذا غير الأنفس الأخرى من أصناف

الدجاج، والبط، والماعز .كانت الشقة قد تم تغييرها بشكل لافت للنظر، مما جعلها تسأل أختها، التى كانت تربط رأسها بطرحة سوداء فوق الإيشارب، وتضع يدها فوق خدها عن سبب التغير الشامل الذى حدث قالت بتنهيدة:

ـ أبو أنعام أمر بكده.

كانت الجملة غريبة على أذن أم حسنى، مما جعلها تفرج عن شبه ابتسامة وهى تقول:

ـ أبو أنعام أمر بإيه، يا أحلام؟

أمسكت أحلام برأسها ونظرت إلى الاتجاه الآخر مما جعل الكدمة الزرقاء فى عينيها تبدو جلية ولم ترد على أختها ،التى شاهدت واقعة الفرح منذ أسبوع، ولكنها أيضاً شاهدت السيد العريان طيلة حياته مع أختها، ولم تسمعه ولو مرة واحدة يخرج من فمه، ولو شبه أمر، ولهذا لم تنتبه إلى الكدمة الواضحة فى عينىّ أختها، وصممت على سؤالها وأعادته مرة أخرى بطريقة ساخرة، وعند ذلك خرج العريان من حجرته وقال بعدم اعتناء كعادته:

ـ أهلاً يا أم حسنى.

ثم نادى على أنعام ،التى خرجت مسرعة على غير العادة .وأمرها أن تعد الشاى لخالتها، ثم نادى على فاروق وأعطاه نقوداً ليأتى له بسجائر.

ـ أنت من إمتى بتدخن يا عريان.

هكذا خرج السؤال من فم أم حسنى ،مليئًا بسخرية، أحس وقعها العريان، الذى لم يجد أمامه رداً غير أن ينظر إلى وجه زوجته التى وضعت عينيها سريعًا فى الأرض ،فلم يجد أمامه مفراً من الرد على تهكم أم حسنى ، فقال وعلى فمه شبه ابتسامة:

-بدخن من زمان يا أم حسنى .بس كنت باخاف من دخلتك علىّ، وعلشان كده كنت بطفيها.

نظرت أم حسنى إلى أختها فوجدتها تضع يديها على رأسها، وعينيها تبحث فى الأرض عن شئ ما .لم يكن موجوداً على الإطلاق .فلم تعرف بماذا تجيب على العريان الذى لابد ،طلع له سنان وابتدا يعض، كما قالت لزوجها حين عادت إليه فى مساء ذلك اليوم وقفت وقالت لأختها :عاوزاكى، وخطت خطوة فى اتجاه حجرة العيال، ولكن العريان أوقف هذه الخطوات وأشار لها على الأوضة الثانية فدخلت حيث أشار بيديه.

ـ فيه إيه يا أحلام.

ـ مافيش يا حسنية يا ختى.

ـ لأ فيه. ثم أمسكت برأسها التى كانت تبعده عنها، وشاهدت الزرقان المحيط بالعين فانتفضت وقالت لها:

ـ من إيه ده .وماله العريان؟

ـ من ساعة مارجع من الفرح .دا اتغير خالص يا حسنية .طول النهار تلطيش فىّ وفى العيال، ومابقاش حد قادر عليه.

ـ ياما قولت لك قبل كده .اللى انت بتعمليه معاه مسيره يطلع فوق دماغك.

ـ لا .دا طلع، وطلع يا أختى.

ـ انتى تستهلى.

ـ استاهل يا حسنية.

ـ البت أنعام كويسة ولا فيه حاجة؟

ـ حاجة زى إيه؟

ـ زى الكلام اللى طلع عليها.

ـ لا يا أختى، ورحمة أبوكى زى الفل، وأنده لك تشوفيها.

ـ أنت متأكدة يا أحلام؟

ـ متأكدة على الآخر.

ـ يعنى أشوفها؟

لم ترد عليها ، تركتها وخرجت، ثم عادت سريعاً وهى ممسكة بيد أنعام، التى كانت لا تعرف لماذا أمسكت أمها بها هكذا.

ـ أهى يا ختى .

أمسكت أم حسنى بيد ابنة أختها وقالت:

- تعالى يا أنعام أنا مش هاكشف عليكى .أنا هاسألك بس .الواد حسن نام مـعـاكى .تغير وجه أنعام وكادت تقع على الأرض لكنها تمالكت نفسها، وقالت بصوت ضعيف واهن:

- ماحصلش أبداً يا خالتى.

أمسكت أم حسنى ،التى ما إن رأت تغير لون أنعام، حتى دخل الشك قلبها ،بيدها وقالت لها:

- نامى على السرير.

دمعت عينا أنعام ويد خالتها تتحسس أشياءها، ثم تدخل إليها، ولكنها لم تستطع أن تفتح فمها، فهى تعرف أنها السبب فى الفضيحة التى أصبحت تلاحقها .كما أنها أحد أسباب تغير أبيها، من الأب الحنون الطيب إلى هذا الثور الهائج ،الذى لم يعد يرضى بأنصاف الأشياء كعادته، سحبت أم حسنى طرف الجلباب ،بعد أن أحست أنعام أن روحها تنسحب منها وضربتها على فخذيها ضربات حنونة ومدت يدها تمسحها بطرف الملاءة ،ثم أمسكت برأسها وقبلتها فى خدودها وقبلت أختها، وخرجت لتقف أمام العريان ،الذى كان يمسك بيده كوب الشاى وفى اليد الثانية سيجارة، ويضع قدم على الكنبة والأخرى على الأرض وقالت له:

- الحاج محمد الجزار طالب إيد أنعام.

فتحت أحلام فمها كاشفة عن أسنان معتنى بها .ثم سحبت بيديها طرف الطرحة السوداء المبرومة ،والتى كانت تربطها فوق الإيشارب

منذ برك عليها العريان، ونظرت إلى العريان الذى تغير كثيراً منذ وقف على خشبة المسرح وقال بصوت جهورى: إنه يرفض أن يزوج ابنته الطاهرة، بشهادة أنور المنسترلى وأصدقائه، لهذا الجربوع .ابن العدل. قال لأم حسنى دون أدنى فرح أو زعل:

- ربنا يعمل ما فيه الخير، هاشاور البت ونرد عليكى.

- تشاور مين يا أبوأنعام .ده المعلم محمد الجزار .صاحب مصانع القزاز ودكاكين العطارة؟

- اسمي أبوفاروق ،أبوأحمد، وبعدين قزاز ولا صفيح وجزار ولا فران، هنشاور البت.

انسحبت أم حسنى بعد أن لمحت عينى أختها التى راحت تبحث عن مكان يحميها من خبطات العريان القادمة بعد قليل ،إذا قالت له شيئاً وفى الطريق إلى المعلم الجزار كانت تقول فى رأسها إن العريان اتجنن رسمى .أعجبتها الفكرة فراحت تتخيله فى الجلباب الأبيض وابتسمت لذلك كثيراً حتى وقفت أمام شقة المعلم وخرجت لها آخر زوجاته فقالت لها دون أن تسأل عن المعلم :

- والنبى قولى للمعلم، الواد ابنى وافق على الشغلانة اللى هو قال عليها .وتركتهاومضت.

* * *

ربما لا يعلم أحد أن السيد زغلول العريان عند نزوله من فوق خشبة المسرح كان ينتظر فقط مجرد إشارة من أى شخص ،ليوافق على إتمام الفـرح .فقط إشارة، من أى شخص عابر يقول كلمة واحدة . كلمـة واحـدة، وسوف يترك على أثرها أنعام تنام فى حضن حسن العدل، فرغم النصر الذى أحس به للمرة الأولى فى حياته .ذلك النصر الذى ظل اثنين وأربعين عاماً وبضعة أشهر ينتظره بشوق ولهفة .أن يقـول اسمه بلا خوف .أن يقوله بصوت عال وأمام جمع من الناس .ياله من حلم جميل ظل العريان يحيا من أجله! ولكنه حين حقق الحلم بكل مواصفاته ومفرداته التى شكلها فى رأسه طيلة حياته.أن هو يقول اسمه فى الميكروفون وأمام كل المنطقة تقريباً .بل ويعلن قراراً صارماً وهو الذى لم يأخذ قراراً طيلة حياته ولو أنه أخذ قراراً لكان هو، تغيير ذلك الاسم الذى جعله بعيداً عن الناس طوال عمره، ولكن ها هو الآن وهو يهبط السلم الموضوع تحت خشبة المسرح، يفكر فى حلمه الأخيرة ونظر فى عين امرأته وجيرانه، كان ينتظر مجرد إشارة صغيرة، وحين

أمسك بيد ابنته لم يمسكها بضمير فلو أنها حركتها قليلاً لتركها دون أدنى مقاومة، تنام تحت جسد حسن العدل، لكنها لم تحركها كما أن أحداً لم يشر .واحد لم يتكلم.

* * *



الباشكاتب

قالت عنها بصوت هادئ ومحايد:

الست أحلام .مرات البشكاتب المنسترلى .الله يرحمها .هى السبب فى معرفتى بأنور أنا كنت الكبيرة وأمى الله يرحمها بعتتنى عندها أتعلم الخياطة .كان عندى كده ييجى حداشر سنه .بس إيه .اللى كان يشوفنى يقول أربعتاشر سنه .حاكم احنا زمان كنا بنفور بسرعة .مش زى الأيام دى .مسلولين .قعدت عند الست أحلام تلت سنين أتعلم الخياطة أنت عارف السنين دى .غيرت حياتى كلها .لخبطتها .أنا صحيح كنت حلوه وشايفةهنفسى قوى .بس ماكنتش عارفة حاجه فى الدنيا غير بيتنا. يعنى أبويا كنت باشوفه كل أسبوع مره وساعات كتيرة يفوت بالشهر ماشفهوش والبيت كان يعنى على قد حاله أمى ميعديش أسبوع إلا لما تتخانق مع أبويا على المصاريف وهو كان خلقه ضيق طول حياته، كلمتين ويقوم عليها ضرب وكمان طول عمره شارب وعمرنا ما عرفنا له شغلانه ثابتة .ساعات يشتغل فى الكمب بتاع الانجليز وساعات

يسافر السودان يجيب جمال ويبعها فى عشش الترجمان اللى قدامنا دى وساعات يقول إنه شغال فى الآثار عكس البشكاتب الله يرحمه .شغال فى محكمة الزنانيرى .وخناقات أمى كنتش دايما على الفلوس .كتير قوى على النسوان .حاكم هو الله يرحمه ماكنش يتوصى فى حكاية الحريم وعمره ما رجع البيت بدرى .أما البشكاتب ده رجل ولا كل الرجالة .من الشغل للبيت للجامع عمره ما سهر بره .أنا كنت باروح عندها على الساعة تسعة الصبح .أقعد عندهم لغاية بعد العشا .الست أحلام علمتنى كل حاجة حلوه، مش التفصيل بس .علمتنى أتكلم وأقول رأيى بصراحة وماخفش إلا من اللى خالقنى .أنا أدخل باب الشقة من هنا والست تكون محضره كل حاجه .القماش اللى بتعلم عليه والقماش اللى هى بتفصله وعلى الساعة واحدة كده ،تقوم تعمل الغدا وأنا أخيط على المكنة ، حاكم أنا من الأسبوع الأول بقيت أخيط كل حاجة ،لكن التفصيل والحاجات التانية عمرى ما عملته إلا فى السنة الأخيرة. الباشكاتب يرجع بعد صلاة العصر .حاكم هو كان بيخرج من شغله يروح يصلى العصر فى الحسين يتغدى ويريح لغاية المغرب . الفترة دى ممنوع شغل المكنة خالص وساعات كتير كانت الست أحلام تقول لى قومى ريحى فى الأودة بتاعة المسافرين .يصحى المغرب يلبس الجلابية البيضا، ويحط العباية على رقبته .صيف شتا وينزل على الجامع وما يرجعش إلا بعد صلاة العشا والله يا أستاذ أنا كلت عندهم الحلو والمانع كل يوم الباشكاتب أفندى يرجع معاه كيس فاكهة وشقتهم أربع أود وصالة كبيرة وحمام ومطبخ وبلكونة داير داير .الست كانت مخلياهم جنة .السجاد على الأرض ،كل أسبوع تطلعه ينتفض والكنب

الاستنبولى كل أسبوع طقم جديد والقصايص اللى بتفيض من الهدوم أشكال وألوان من المفارش ورغم أن الزباين طالعة داخلة إلا أن الشقة دايماً تلم منها السمنة بإيدك .أوده أنور كان ليها باب من جوه وباب على السلم .أنا أول مارحت، حاول يعاكسنى . هو كان خلص البكالورية من زمان ويادوبك ابتدا فى السيما .أنا انكسفت وعملت نفسى زعلت أنا كنت لسه حداشر سنة وهو كان عنده عشرين أو أكثر بشهور .بس أنا كنت عروسة .لامؤاخذه صدرى كان طلع .المهم بعد ما عملت نفسى زعلانة قعد ييجى سنه بحالها يشوفنى يخش الأودة بتاعته ولا كأنه شافنى .أنا ابتديت أفكر فيه ليل نهار وهو يعنى كان عمل فيلم ولا اثنين وابتدا يبقى أنزوح قوى وفى يوم، الست أحلام راحت مع الست تركيا مرات عمران العقاد مشوار لغاية دكان جوزها فى العتبة علشان تشترى ستاير جديدة من عنده .على فكره هو كان اسمه عمران الحرش. والعقادةه دى شغلته .حاكم هو كان وارث المحل ده عن أبوه وكمان الصنعه .أنا ماكنتش أعرف الكلام ده لغاية ما رحت أنا وأنور نجيب ستاير وفرنشات بعد كده بعشر سنين بعد الجواز بشهور أما خدنا الأودة اللى فى عماد الدين .تصدق وتآمن بالله يا بنى، الست تركيا دى قعدت ماتخلفش أكثر من خمسة وعشرين سنة وفى الآخر جابت واد . هو جه من هنا وعمران مات من هنا، وبعد موته اكتشفت إنه كان متجوز عليها ومخلف خمس عيال .الست ماكانتش مصدقه ،فى الآخر جابت العيال ومراته وقعدتهم معاها وربتهم أحسن تربيه .الحاجة الأسبوع اللى فات شاورتى على شاب معدى وقالت لى ،إنه أحمد عمران، ابن عمران العقاد وأنه وكيل نيابة قد الدنيا والدكتور محمد ابنه اللى بييجى

يشوف الحاجة عمل عيادة كبيرة في شارع الشهيد حسن العدل ربنا يخليهولها .حاكم أحمد ده جه على شوق وعطش .الست أحلام نزلت من هنا وأنا عديك الشيطان قعد يوديني ويجبني .لغاية في الآخر مادخلت الأودة بتاعة أنور .كان لسه نايم .أصله كان بيسهر كتير ويفضل نايم للظهر وساعات كتير كان الباشكاتب يرجع ولسه هو نايم. قعدت قدامه اتفرج عليه وهونايم واخد المخدة بين رجليه وحاطط المخدة التانية على رأسه .كان كأنه ملاك نايم .على وشه ابتسامة حلوة حلاوة .أنا قعدت شوية وهب جت في دماغي فكرة إن الست أحلام ممكن ترجع وتبقى فضيحة قمت قايمة ولسة هامشي، راح مفتح عينيه وكأنه حس باللي بافكر فيه أو حس بيّ مش عارفة .المهم قام على حيله وقال لي: فيه حاجة يا توحه .أنا كنت أول مرة أسمع اسمي من بقه. تصدق وتآمن بمين .أنا نسيت أنا كنت بفكر في إيه، ونسيت أنا كنت داخلة عنده ليه وفضلت مبلمة كده وهو يبص لي ومستغرب وفي الآخر قرب مني شويه وجسمي كأنه مسكته الكهربا، راح بيسني .طلعت جري .راح ضاحك وقال لي :إعملي شاي .أنا خرجت من الأودة وكأني خرجت للدنيا من جديد .عملت الشاي وخبطت على الباب وقلت الشاي على الباب ورحت قاعدة على المكنة .طلع خده وقاعد يبصلي شويه ومن يومها ماحدش يعمل شاي له غيري .هو في الأول كان فاكرني بت حلوة بتدلع وشويه شويه ابتدا يحبني وبقيت عنده أحلى واحدة في الدنيا .كملت التلات سنين عندهم .كانت آخر سنة كل يوم لازم أديله بوسه .بس يادويك كملت الأربعتاشر كانوا الخطاب كتروا وقعدت في البيت، كان لسه أبويا عايش وحاول يجوزني من الحاج

محمد الجزار ،لكن أنا كنت خلاص ، بقالى رأى ورفضت وياما ضربنى، لكن أنا صممت على أنور وهو كمان رفض يخطب أى واحدة من اللى كانت بتعرضهم عليه الست أحلام وبعدين أبويا مات والحكاية بتاع موته خلتنا نقفل علينا الباب شويه، وماكنش ينفع يتقدم أنور لكن بعد كده أما الست أحلام ماتت واتجوز البشكاتب الست إحسان، اتجوزت أنور وعشنا شهر العسل فى شقة الأستاذ محمد الزرقانى، خوالأستاذ عبد الرحيم الزرقانى حاكم هو كمان كان ممثل .أنت عارف الشهر دخل فى ستة أشهر والأستاذ محمد زعل قوى لما أنور رجع المفتاح .حاكم الله يرحمه كان مشهور قوى بفعل الخير.

* * *

مـا أن تعلن السـاعـة الثـالثـة صـبـاحـاً من كل يوم خـمـيس إلا وتكون العربة قد تم إخراجـهـا من الجـراج وتكون ست الدار قد ارتدت ملابسها الأنيقة وفى طريقه لركوب العربة .تبدأ الرحلة من الثالثـة تماماً وتنتهى مـا بين السـادسـة والثـامنة .هذه الرحلة التى ظلت سراً على مدار سبعة عشر عاماً وكثيراً ما همس بها الخدم دون أن يعرفوا أى شئ عنها ولكن تخمينهم دائماً مـا كان ينطلق من نقطة وحيدة .نقطة لا يمكن الاستغناء عنهـا أوتجـاوزها .دادة أم الخير هى الوحـيدة التـى تعرف كل شئ عن الرحلة وكـثيراً مـا رافقت ست الـدار فى هذه الرحلة .لكنهـا أبداً لم تـقل شيئاً كما أنها فى ذات الوقت لم تنف شيئاً أيضاً .فعم مـصطفى الجنايـنى والبـواب فـى ذات الوقت ،كـثـيـراً مـا طرح أفكاره أمـام أم الخـيـر، عن تخمينات الخـدم فى رحلة الأميرة ست الدار .كما يدعونها وكما يدعوها كل أهالى بولاق أبوالعلا وهى دائمـاً مـا تبـتسم وتهـز رأسها بمـجـرد أن يطرح عم مـصطفى أفكاره .فلا يعرفـ إن كانت توافقه على كـلامه، أم تـنـفـى ذلـك .سبعة عشر عام بالتمام والكمال استمرت تلك الرحلة

واستمرت تخمينات الخدم .حتى جاءت كوثر الخادمة الجديدة والتى استمرت ترقب الرحلة لمدة عام قبل أن تقول لعم مصطفى هى الأميرة بتـــروح فين .هز عم مصطفى رأسه وتركها ومضى فلم تجد أحداً يشاركها لعبة التخمينات إلا عباس .جرسون قهوة المعلم كتكت الموجودة فى نهاية الشارع بجوار قصر الأميرة ست الدار .حكت له عن الرحلة وانتظرا معاً خروج الموكب يوم الخميس وصدقا ما كان يدور من تخمينات .فها هى الأميرة ست الدار ترتدى ملابس على «سنجة عشرة» كما قال عباس وتركب عربتها وتمضى فى طريق الخطيئة. ورغم أن عباس رأى وسمع عن الأميرة ست الدار ما ينفى ذلك، إلا أن علاقته بكوثر جعلت أفكاره تتجه إلى ما يحلو لكوثر أن تتحدث فيه. تردد عباس كثيراً قبل أن يقول للمعلم رمضان ولكنه عقد العزم وتوكل على رؤيته بعينيه وعلى كلام كوثر ووقف أمام المعلم رمضان وقال له:

ـ الست الأميرة بتعتكو بتتزين وتخرج الساعة تلاتة الفجر كل يوم خميس يا معلم.

لم يكمل بقية حكايته حتى عاجلة المعلم بصفعة مدوية جعلت كل من يجلس فى المقهى يقف على صوت المعلم وهويقول:

-أوعى تجيب سيرة الأميرة يا بن العرص.

المعلم رمضان، هو الابن الأكبر للمعلم كتكت، التى تتصدر صورة كبيرة له صدر القهوة وصورة صغيرة فوق المكتب ،عليها شريطة سوداء وتحتها آية، عن النفس المطمئنة التى تعود إلى ربها راضية مرضية ورغم أن ملامح المعلم كتكت لا تعبر عن تلك النفس أبداً إلا أنه

كان رجلاً ،كما يشاع عنه ما إن لمح المعلم رمضان عربة الأستاذ محمد الأمير على أول الشارع حتى وقف وخطا خطوات سريعة ووقف أمامه بالضبط .صافحه الأستاذ محمد واطمأن على أحوال الأسرة وحاول العودة لداخل العربة ولكن المعلم أمسك به ودعاه للحديث فى أمر هام، مما جعله يترك العربة ويدخل إلى صالة القهوة وينظر بعينيه إلى الصورة الكبيرة للمعلم .كان مازال يردد الفاتحة حين جلس بجوار المعلم ثم نظر بعينيه إلى الصورة الصغيرة التى يعلوها الشريط الأسود وقال بصوت عال أمين .جاءت القهوة بعد أن أقسم رمضان على أخذ الواجب قبل الحديث:

- انتو شغلتوعندكم بت جديدة اسمها كوثر.

استغرب الاستاذ محمد من السؤال ولكنه رد بإيجاز.

- أيوه، ثم أضاف لما وجد أن المعلم لم يضف شيئاً :

- هى عملت حاجة؟

تنحنح رمضان وتحرك فوق كرسيه وكأنه زعيم على وشك إلقاء خطاب عظيم ثم قال:

- أبداً.بس يا ريت تديها حسابها وتسيبوها تلقط رزقها فى حته تانية.

كان خطاب الزعيم لا يفيد أى شخص .فقط كلمات لا تعنى شيئًا. كلمات تحمل معانى كثيرة لكنها لا تحمل إجابة شافية لذلك للسؤال: هى عملت إيه؟ وضع الاستاذ محمد الأمير فنجانه بعصبيه فوق منصة الحكم وقال.

ـ إيه الحكاية بالضبط يا معلم .الله يرحمه أبوك .كان دوغرى، وافتكر أنك طالع له.

كان الموضوع بالطبع محرجاً، ومن هنا أراد المعلم أن ينهيه بأقل الكلمات، ولكن عصبية الأستاذ محمد هى التى جعلته ينظر بطرف عينه إلى الصورة المعلقة فوقه، ثم نظر إلى الصورة المتصدرة لصحن القهوة وعدل جسده على الكرسى، كأنه يفكر وقال بصوت تعمد أن يكون هامساً:

ـ البت دى بتلسن على الأميرة وده كلام مايصحش.

انتفض الأستاذ وتغير لونه ،ثم طلب كوباً من الماء ما إن شربه، حتى استأذن المعلم رمضان بعد أن شكره وخطا خطوات سريعة فى اتجاه العربية ولكنه عاد مرة أخرى وجلس بجوار المعلم ،الذى أحس بمدى حزن الأستاذ، ومن أجل ذلك تجنب مواجهة عينيه لكنه رد على سؤاله وقال:

ـ ابداً كلام كده لايؤدى ولا يجيب .بس عيب .ثم أضاف: وكمان دى الأميرة بتاعتنا ومش ممكن حد يقول تلت التلاتة كام .حـــاول الأستاذ أن يبدو طبيعياً ولكن صوته خانه فقال كلاماً لم يفهم منه المعلم رمضان شيئاً ولم يجد إجابة أقرب لهذا الكلام غير أنه قال:

ـ أبـــدا .قالت إن الأميرة بتخرج الساعة تلاتة الفجر من كل يوم خميس ومابترجعش إلا الساعة سبعة الصبح وكلام خايب كده.

وقف الأستاذ بعد أن عاد إلى طبيعته وقال للمعلم:

- الأميرة فعلاً بتخرج الساعة تلاته كل خميس، تزور أولياء الله، والكلام ده .من زمان.

انسحب الاستاذ من أمام المعلم ،الذى اكتشف السر وهو يخطو خطوات هادئة ورزينة .كانت ست الدار تذهب إلى أولياء الله منذ ما يقرب من سبعة أعوام .هذا ما يعلمه السيد محمد الأمير زوجها .أما الآن ،ومنذ ما يقرب من الأعوام السبعة ،ومنذ أن يئست تماماً من موضوع الخلفة، فلقد صارت تركب العربة، وتبدأ الرحلة الدائمة، ولكن بخط سير جديد .فلقد كانت الرحلة تتغير كل أسبوع .تخرج فى الثالثة كعادتها على غير هدى وتمر من الشوارع لا تعرف أين هى .كل ما كانت تعرفه أنها لابد أن تقف أمام العساكر الذين يحرسون المحلات أو الإشارات ،وتقترب من الواحد منهم وتدس فى يديه شيئاً ثم تذهب لتبحث عن آخر حتى تعود عندما ينتهى ما تدسه فى أيدى العساكر وفى عينيها ظل ابتسامة، كظل عصفور يطير.

* * *

أحمد عبد القادر

أنت عارف المرحوم الأستاذ احمد عبد القادر اللى غنى أغنية وحوى يا وحوى؟ وكعادتها لم تنتظر الإجابة وأكملت ده: كان شقته فوق شقه البشكاتب على طول وكان انور بيحبه قوى وهوكمان كان بيحب أنور وبيقول عليه دا ابنى اللى ماخلفتوش وأنور كان بيندهله يا بابا أحمد .ده بقى كان مايحللوش السهر إلا يوم الخميس الأول من كل شهر .بداية من الساعة ١٢ بالليل ،أما الست تخلص وصلتها التانية .يحضّر الجوزة وأنا أقعد جنب الست بتاعته ويشرب حجرين حشيش صافى .أنا طبعاً كنت عارفة الحشيش من المرحوم أبويا لكن الست بتاعته فكرتنى مش عارفة الريحة اللى طالعة إيه وقالت لى :أن دى مستكة محطوطة على المعسل ،علشان الريحة تبقى حلوة، أنا طبعاً هزيت رأسي ومارضتش أحرجها. هو يشرب الحجرين من هنا، ويعيد الوصلة التانية بتاعة الست .حاكم أم كلثوم كانت بتقول أغنية جديدة وأغنية تانية، دايما بتكون هى الأغنية الجديدة بتاع الشهر اللى فات.

الأستـاذ أحـمـد يبـدا من هنا وأى واحـد يعمل حـركـة تبقى ليلتـه سوده.
الأستاذ أحمد شرط علىّ كده من أول مرة عرفته والله العظيم الرجل ده
كان بيغنى ساعات كثيرة أحسن من أم كلثوم .أنا مش باقـول كـده
علشان سمعته وش لوش .مش زى الست، كنت بسمعها من الإذاعة .لأ.
أنا ودانى موسيقية وهو قال لى كده قدام أنور وياما اتحايل علىّ يدرينى
لكن انور كان بيقول له دايما .أنا مانفعش يا بابا يبقى توحه تنفع .لكن
أنا بقى عملت عمله فى أنور .بس إيه .هو نفسه ماكانش مصدق .أتفقت
أنا والأستـاذ أحـمـد إنى أروح لـه كل أسبـوع مـرتين السـاعـة ٩ الصـبح
.الست بتاعته كانت بتحضر الساعة الأولى معانا، وبعد كده تقوم تعمل
اللى وراها، الأستاذ أحمد قعد يمرنى ييجى خمس تشهر، وبعد كده اتفق
مع جمعية من بتوع العمال أو العمالية، مش فاكرة وخدنى أنا وأنور،
وهو مـايعـرفش طبعـاً ، ورحنا القـاعـة بتـاعت العـمـال، وطلعت على
المسرح وغنيت أغنية: «وحوى يا وحوى» والأستاذ كان ماسك العود ،
وبيرد علىّ والناس انبسطوا قوى، وبعدين أبتديت أغنى أغنية عن شهر
رمضـان .وفيها كده مقطع بيقول :«يا شهر رمضان يا غرة الشهور»
والبيت التـانى مش فاكراه قوى .لكن أنا فاكره حكاية الغر دى أنا جيت
عندها، وهات يا ضحك، إيه اللى ضحكنى، والله يا بنى ما انا فاكرة.

دخل أنور على فتحية التى كانت مرتدية قميص النوم اللبنى .كـان
يحمل فى يديه كيساً ورقيًا مليئًا بالكمثرى ولفة بها نصف كيلو كباب
من عند «الركيب» ومعها سلطة الطحينة وسلطة الطماطم، على غير
عادته بدا مكتئباً فسألته توحه:

ـ مالك يا أنور؟

ـ أبداً الواد الريجسير الرمه .ضيع منى فرصة العمر، بعدما حفظت الدور صم ،قال للمخرج إنه فيه وجه جديد مكسر الدنيا وممكن يقوم بالدور بتاعى .المخرج قال له خلاص أنور كويس وأنا مواعده بالدور ده بقـــاله تلات سنين .قـاله ده واد حلو قـوى وطالع زى الصـاروخ .فالمخرج قال له نشوفه .وقال لى: ماتخافش يا أنور، الدور بتاعك .لكن ده كلام .الدور راح راح .شكل الواد الرمة، شال منى علشان مارضتش أدفع حسابه فى بار متاتيه.

ـ ما كنت دفعت وخلاص يا أنور.

ـ انـتـى اتجـنـنـتـى .ده كـان واكل وشارب ييجى سبع قزايز بيرة وكـاسين ويسكى وقبل كل ده وده ، أنا فنان حقيقى يعنى مش هادفع علشان اشتغل.

ـ كلهم بيدفعوا يا أنور .انت بس اللى حساس زيادة عن اللزوم.

ـ سيبك اللى يدفع يدفع يللا نآكل.

ـ آكل إيه بقى بعد ما غمتنى.

ـ لا تتغمى ولا حاجة وبعدين النهارده الخميس الأول فى الشهر .إيه رأيك نروح عند بابا أحمد وبالمرة نعدى على البشكاتب ونشوفه عامل إيه فى الجوازة بتاعته.

ـ والله مانى عارفة يا أنور، البشكاتب اتجوز بعد أمك إزاى.

- يا ستى الحاجة ماتت من أربع سنين والبشكاتب رجل دوغرى. مايعرفش الحرام وبعدين أحسن إنه اتجوز علشان الواحد مايبقاش قلقان عليه.

- بس الست دى هتاخد اللى وراه واللى قدامه.

- أحنا ربنا ساترها معانا، وبعدين بينى وبينك .لا ورا ولا قدام. البشكاتب راجل عايق من يومه .يعنى الجاى على قد اللى رايح .زيى بالضبط، ولا تفتكرى أنا طالع لمين .يلاّ بسم الله خلينا نلحق الست .

* * *

توته

لا أحد يعرف على وجه الدقة متى جاءت .البعض يقول إنها كانت ابنة الخواجه «جان عيد» صاحب مصنع الزجاج وفيلا «أبوكلبه» الذى بنى مكانها مبنى الإذاعة والتليفزيون، والبعض الآخر يقول إنها كانت إحدى حكيمات مستشفى فؤاد الأول، التى سميت بعد ذلك بمستشفى فاروق، ثم مستشفى الجلاء للولادة ،وقليلون يقولون إنها ممثلة فاشلة ظهرت فى أفلام قليلة فى نهاية الأربعينيات حتى منتصف الخمسينيات، توته المرأة التى تبلغ من العمر ما بين الخامسة والستين والسبعين، والتى تجلس فى ظهر مستشفى الجلاء، وتضع أمامها ترابيزة عليها بعض الانتيكات .البعض يقول إنها يونانية، والبعض يقول أرمنية، وآخرون يقسمون بالله إنها إيطالية، جاءت تبحث عن جسد ابنها فى منطقة العلمين بعد انتهاء الحرب ولكنها عشقت مصر وعملت لفترة كممرضة محترفة ولكنها لم تستمر، لأنها مصابة بحالات عصبية متكررة، وبالرغم من كثرة الحكايات عنها، إلا أنها لم تنفِ أيا منها ،

فهى يونانية لمن يريدها وأرمنية لمن يدعى ذلك .تأتى فى التاسعة، تحمل الشنطة القماش على كتفها ما إن يراها عباس صبى قهوة المعلم كتكوت ،حتى يأتى بالترابيزة والكرسى تضع الشنطة القماش بهدوء على الأرض وتخرج منها المفرش الستان، الذى لم يتغير لونه منذ وضعته فوق الترابيزة للمرة الأولى ،ثم تخرج الانتيكات واحدة واحدة وتنظفهم جيداً بقطعة من القطيفة السوداء وحينما تنتهى من رص القطعة الأخيرة يكون عباس قد جاء لها بورقة ملفوفة تفردها وتخرج منها الإفطار الذى لم يتغير على مدار خمسة وعشرين عاماً حتى الآن رغم تغير عباس بأحمد وإسماعيل وحسن وأخيرا كتكوت الصغير. نصف سندوتش مربى بالقشده ونصف جبنة رومى، لا ترد على أى مشترٍ طالما تأكل، وحين يصمم أحد المشترين على إخراجها من حالتها، تغير اتجاه الكرسى وتعطيه ظهرها، وحين ذلك لن يجد مفراً من الانسحاب أو الانتظار إذا كان محتاجاً لإحدى التحف .

تشعل سيجارة مع كوب الشاى وما إن تنتهى من السيجارة، حتى تضع على رأسها طاقية من الخوص وتسرح بعيداً ،لا يخرجها من شرودها إلا وقوف أحد الزبائن أمامها للسؤال عن السعر .لحظتها تتأكد من السعر فى رأسها وتقوله دون اعتناء .

ترفض المساومة على السعر، حتى لولم تبع أى شئ طوال اليوم .كل حاجة وليها سعرها ومايعرفش يسعرها إلا اللى يقدرها. هذا هو جوابها

الدائم على كل من يحـاول المسـاومـة .تقولها بلكنة تتماهى دائما مع وجهها الأحمر .

ينسحب من أمامها من لا يريد الشراء .زمزمية المياه المستقرة تحت الترابيزة دائماً بها ما يروى الريق ويعيد الهدوء المفتقد بواسطة أحد المشترين .

توته هذه التف حولها كل أهالى بولاق ظهر اليوم .لتعترف للمرة الأولى منذ جاءت إلى مصر أنها إيطالية جاءت تبحث عن ابنها الغائب منذ اثنين وثلاثين عاماً.

* * *

همس حسن لأنعام قائلا :

ـ الواد انور باين عليه اتسطل.

ـ لا .بص على ابو ركبـه دا هو اللى اتسطل وهيـقع دلوقـتى على الأرض وتبقى فضيحة. ضحك حسن بصوت مسموع حتى نظرت الست أحلام اليـه وكأنها تؤنبـه ، لكنه التفت إلى أنعام وهو يقول لها بصوت تعمد أن يسمعه للست أحلام التى كانت عيناها تتابعان الموقف.

ـ هى الست دى مفكرنى العريان ولا ايه؟

تغير وجه أنعام وأمسكت بيد حسن وهى تقول له:

ـ والنبى علشان خاطرى يا ابو على عدى الليلة على خير ، أحسن أنا معرفش ليه قلبى مقبوض وحاسه كده بحاجه الله أعلم إيه.

أمسك حسن بيد أنعام التى كانت ممسكة بيده وقربها إليها وقال :

ـ علشان خاطر الوارد ياست أم زغلول، ولا انتى هاتسمى الواد اللى هيجى بعد تسع تشهر إيه .

احمر وجه انعام وحاولت سحبَ يديها من بين يدى حسن التى كانت تقبض عليهما بإصرار ولكنه لم يتركهما وأضاف :

ـ واحنا الليلة دى هنعمل عمايل .

كانت الجملة كفيلة بأن تستجمع أنعام كل إرادتها، و تسحب يدها من يد حسن التى تركتها بعد أن لمح كل ألوان الطيف فى وجهها .

انتبه حسن على ضحك المعازيم وصوت عبد الله المأمور وهو يقول له :

ـ صاحبنا اتسطل يا ابو على .

كان أنور بالفعل يبدو عليه علامات السطل ، فحركته الدائمة، وهو يمسك الميكرفون، تدل على السطل ، وإشارته ايضاً ، ومن هنا ضحك حسن مع انعام التى اشارت على عزت وقالت :

ـ وأبو ركبه كمان باينه اتسطل هو كمان .

ـ باين العيال الرمم حاطين حاجة فى قزازة الوسكى .

ـ حاطين ايه ؟

ـ مش عارف .بس انور فعلا اتسطل وباين على ابو ركبه أنه هيقع وهو بيقول له حاجه .

ثم نادى على محمد جورج الذى جاءه مسرعاً فسأله:

-انتو عاملين حاجة فى الوسيكى

ضحك محمد وهو يقول له :

ـ ابدا .احنا بس عملنا قزازة نبالم من بتاع انا جدع .

ـ امش روح حاول تنزل انور بالراحة وخلى عبد الله يمسك ابو ركبة لأنه ضاع خالص .

انسحب محمد من أمام حسن وهو لايدرى ماذا يفعل ، فهولا يستطيع أن ينزل بأنور من فوق خشبة المسرح أمام الناس ، كما أنه قد أخذ هو الآخر كاسين نبالم ، ويحس بالانحدار الشديد يسرى فى اطرافه، وقف أمام خشبة المسرح وهو يبتسم لأنور ثم راح يهتز طربا وانور يشير عليه .

نادى حسن على عبد الله المأمور وأمره مرة أخرى بما قاله لمحمد جورج الذى انسطل هو الآخر وراح يرقص .

وقف عبد الله بجوار أنور وهمس فى أذنه بكلمات لم يتبينها حسن لكنه لمح أنور يزيح عبد الله ويبدأ فى سرد حكاية الاتفاق .

وقف حسن لايدرى ماذا يفعل .كانت الكلمات تخرج سريعة من فم انور تجدد كل الأشياء .

جلس حسن على الكرسى واضعًا يديه بجواره وكأنه لا يدرى ماذا يفعل فى كلمات أنور التى فضحت الاتفاق، ما أن انتهى أنور من سرد حكايته ، حتى رأى السيد زغلول يعتلى المسرح بطريقة أذهلته .

خطف الميكرفون من يد أنور الذى انسحب بعيداً بعد أن سنده محمد جورج نزل العريان بعد أن ألقى بيانه الذى كان مختصراً ومفيداً ليسحب أنعام من جوار حسن الذى كان مازال يضع يديه بجواره تاركاً عينيه تبحثان عن أشياء كثيرة لا يعلمها إلا الله .

* * *



كومبارس

قالت لى :

ـ مسيرك تشوف الأفلام اللى مثلها قبل سنة ٥٠ . هو طول الفتره دى ليطلع عسكرى ليطلع حرامى .ليطلع صاحب واحد منهم .مـا اعرفش الحكمة فى كده إيه، الفيلم ده عسكرى يبقى اللى بعده حرامى على طول .كان بياخذنى من ايدى ويدخلنى العربية بتاعة الممثلين نمرة ٢ هما بيقولوا عليهم الكومبارس .لكن أنور دايما كان بيتخانق معاهم ويقول لولا الممثلين المساعدين ما يعرفوش يعملوا فيلم خالص .

رحت معاه استوديو الأهرام واستوديو مصر ورحت معاه اسكندرية . كل حته كان بيشتغل فيها بعد الجواز وتكون بعيدة أروح معاه على طول .بس كان بيغير علىّ قوى .مره المرحوم عماد حمدى قال لى :إنـى ممكن أمثل كويس وسلم علىّ واتكى على إيدى وأنا وشى اتغير وهو كان ماسك فى إيده حاجة ساقعة رمى القزازة ومسكنى وحطنى فى العربية

وقال لى ما تخرجيش من هنا، وفى اليوم ده قعدت فى العربية لوحدى من الساعة تسعة الصبح لغاية حداشر بالليل .بس الشهادة لله ، كان يأخذ فى الفيلم اللى فيه النصيب ، نرجع من غير مليم واحد يوحد ربنا .عمره ما عمل حساب لأى حاجة .علشان كده يا دويك وقع فى الفيلم الأخير ورجله انكسرت وماكنش فيه دكتور كويس لغاية ما نزلنا القصر العينى ، بعد تلات تيام كانت رجله اتشمست ولازم تنقطع .هو عرف كده وبص ناحيتى بصة لغاية دلوقتى فاكراها .ما اعرفش مين جاب له البرشام اللى انتحر بيه .بس بينى وبينك ماكانش ينفع أنور المنسترلى العايق يمشى برجل واحده .ده كان عايق والفيلم اللى مايعجبوش ما يمثلوش .انت عارف ، قبل الفيلم الأخير كان خلاص هيعمل دور كبير مع المخرج الكبير بركات .كان هيمثل زميل الأستاذ أحمد مظهر فى فيلم مش فاكره اسمه إيه، وكان بيتعلم اللعبة اللى بيضربوها على الترابيزة اللى اسمها بلياردو ، وكان ابتدا يحفظ الدور قوى .لكن القدر سقنا احنا الاتنين وانتحر ، عارف انت لو جيت الأسبوع الجاى هاوريك صورى أنا وأنور مع الممثلين الكبار.

* * *

كنت قد لاحظت يدها الشمال المقفولة دائماً .إلا أنني لم أعـرها اهتماماً وحين أمسكت بيدى وهزتنى وهى تسألنى عن فيلم أربع بنات. كان من الواضح أنها تمسك بيدى اليمنى بغير ضمير بالرغم من ذلك هزتنى بعنف .حتى كدت أبعدها بعنف ولكنى آثرت السلامة، لم تشغل بالى يدها هذه، حتى كانت تلك اللحظة، التى أمسكت يدى وقبلتها حين دخلت علىّ بعد أن نادت عليها الحاجة وقالت لها:

ـ الأستاذ سعيد طلعٌ لك كارنية التأمين، يعنى ممكن تروحى أى مستشفى.

كنت قد حاولت سحب يدى ولكن قوة أكبر من حجمها ومن مقدرتى جعلتنى مستسلماً تماماً ليدها، كما أن ملمس ريقها على يدى جعلنى مخدراً ولا استطيع الكلام أو حتى سحب يدى من يدها التى لم تعد تملك القدرة الخرافية التى أحسست بها فى بداية اللحظة ، أمسكت

بكارنيه التأمين ثم قبلت صورتها الموضوعة عليها وانسحبت كعادتها دون أن تتكلم كلمة واحدة ،ثم عادت مسرعة وقالت:

- يوم الخميس الجاى فيه فيلم لأنور.

ثم عادت دون أن تشير إلى معنى تلك الجملة:

- قصدها يعنى إنها عازماك تتفرج على الفيلم معاها قالت ذلك الحاجة بعد دخول فتحية ورؤية علامات التعجب على وجهى.

- هى إيدها الشمال مالها.

- ابدا دى فيها خمسة جنيه قديمة من يوم ما رجعت وهى ماسكاها فى إيديها حتى لما جيجى بتحميها بتكون ماسكاها برضه .وياما غلبت معاها إنها تسيبها أبداً ، وكأن ايديها ماتت عليها .السنة اللى فاتت العيال ولادى صمموا أنى أروح معاهم المصيف .روحنا وسبناها، بعد أما غلبت محايله فيها انها تيجى معانا أبداً .وصيت عليها الست حسنيه بنت أم أحمد الصعيدية، حاكم هى اتجوزت فى الدور اللى فوق ماجده اختك، اللى كانت لسه ماسكنتش هنا ورحنا المصيف عشر تيام .بينى وبينك، العيال ضحكوا علىّ وقعدوا يقولوا الشمس والرملة السخنة حلوه علشان رجليكى، وأنا طاوعتهم بعد الست حسنية ماحلفتلى على المصحف قدام أمها الست أم أحمد حاكم أم أحمد دى عشرة عمر، جات الشارع ده وأحمد ابنها عنده أربع سنين، دلوقتى بسم الله ما شاء الله، أحمد له ولاد على وش جواز .أنا كنت خايفه لاحسن تطلع فى دماغها تسيب البيت وتطفش تانى والمرة دى الله أعلم بقى هترجع تلاقينى ولا

إيه .حاكم هى قعدت تمن سنين طفشانه، قصدى فى المولد، والله يابنى
الفكرة دى ما خلتنى أشوف لا بحر ولا رمله .العيال كانوا بينزلوا البحر
وأنا قاعدة فى الشقة وعمر وعلى يبوسوا رجلى ، انا كنت بافكر فى
توحه، حاكم لو هى راحت تانى وإدروشت مافيش حد هيرجعها. الحاج
محمود ومات والعيال كل واحد شاغلاه الدنيا ودى هى إلى باقيه لى
من ريحة أمى وأبويا وانت أهو شايف صحتى أنا لامؤاخذة لما أحب
أدخل الحمام، عاوزة اتنين يقومونى وإتنين يقعدونى .علشان كده السنة
دى أما راحوا المصيف أنا مارضتش اسيبها أبداً والبركة فى الست أختك
أم شريف، ربنا يسترها، بنت أصل بصحيح عملت أكتر من اللى بتعمله
جيهان وعندها صبر ألف مرة عنها، أنا نفس تيجى يوم الجمعة وتشوف
الغارة اللى بتعملها جيهان وتوحة علشان خاطر لا مؤاخذة مسألة
الحموم، الناس والله يابنى بتتفرج علينا .عارف أنا رجعت من المصيف
وأول ما شافتنى هات ياشتيمة من المنقى يا خيار، تلت ساعات
متواصلين وفى الآخر كل ده ليه .علشان الست حسنية حاولت تاخد من
إيدها الخمسة جنيه وهى بتحميها .قلت لها يا توحة، خدى منى خمسين
جنيه وبلاش الفضايح .راحت مصوتة ومصممة تمشى .العيال كانوا
راجعين تعبانين قعدوا يسكتوها أنها تسكت أبداً وشوية وقالت لنا امشوا
من الشقة .دى شقة أمى .أما راحت عنها الحالة قلت لها إيه حكاية
الخمسة جنيه دول يا توحة. بصت لى كده وراحت هزت دماغها
بهدوء ويعدين بسرعة وراحت فى دنيا تانية ، اكتر من ساعتين، شوية
تدمع وشوية تضحك ،شوية تقرأ القرأن، شوية تنزل على الأرض

وتسجد وهى بتدعى، أنا بينى وبينك قلت إنها غلطتى علشان سبتها عشر تيام لوحدها وقعدت أأنب نفسى وأول مارجعت لعادتها تانى، راحت ماسكة أيديها وبوستها وحلفت لها إنى مانزلت البحر ولا شفت ساعة راحة من ساعة ماسبتها، وخدتها فى حضنى وقعدنا نعيط شوية كتير والعيال قاعدين يتفرجوا علينا، اللى يألس، واللى يضحك ومرة واحدة قالت لى : البت حسنية كانت عاوزة تسرق فلوسى، وعلشان كده أنا مانمتش بقالى تلت تيام ، وحطيت السكينة تحت المخده علشان لو غمضت وهى جات تسرقنى، أضربها على طول. وسكتت شويه وقالت: انت عارفة الخمسة جنيه ديه مين اللى إداهالى؟ ديه من عند بنت بنت النبى. هى اللى إديتهالى وقالت لى خليها معاكى أمانة لغاية ما اطلبها منك، واوعى حد يسرقها، لاحسن اموتك على طول .أنا سمعت الكلام ده منها وقلت الطوفة رجعتلها تانى وقلت عوضى على الله أهو زى ماخد أبويا وامى والحاج محمود أهو هياخد كمان توحة .وفى الآخر كلنا مالناش باب غيره.

* * *

كنت جالساً على مكتبى فى الجريدة ،حين جاء صوتها يعاتبنى على غيابى الطويل .تحججت بالعمل والمسئولية الجديدة التى ألقاها رئيس التحرير علىّ حين اختارنى لأقوم بالعمل مكان رئيسى الذى أخذ إجازة لمدة شهرين .قالت بصوت ملئ بالشجن:

- اللى على على يا أستاذ .بس الحاجة نفسها تشوفك وخالتى توحة بتقول لك إن فيه فيلم للمرحوم أنور هييجى بكره ولازم تيجى علشان تشوفه.

حاولت الاعتذار ولكن نبرات صوتها التى أحسست من خلالها أنها تريد أو تتمنى أن ترانى مثلما أتمنى أنا .جعلت كل مقاومتى تنهار بمجرد أن قالت:

- احنا مستنيينك بكره كلنا.

ثم أضافت بصوت ملئ بالعذوبة:

- كلنا وهنشوف غلاوتنا عندك.

كانت تعرف بالتأكيد مقدار ما أكنه لها .فلقد كان لها قدرة على قراءة عينىّ أكثر من قدرتى على اكتشاف ما يدور فى عينيها الساحرتين .وضعت السماعة وأنا أكاد أطير من الفرح .كانت الأيام التى لم أستطع رؤيتها نتيجة خطأ غير مقصود من ماجدة أختى، أيام مريرة بالنسبة لى .ففى اليوم الأخير عندما كنت عائداً من شقة الحاجة نعمه وجدت ماجده عندى فى الشقة، وبمجرد أن دخلت وأخذتها فى حضنى راحت تعاتبنى أمام زوجتى عن معرفتها بذهابى إلى شقة الحاجة أم عمر دون المرور عليها .حاولت أن أتحجج بضيق الوقت ولكن أختى قالت لى دون أن تنتبه أنها تضع فتيل قنبلة انفجر بمجرد خروجها من باب الشقة.

- وقت إيه دى ،جيهان قالت لى إنك قعدت تلت ساعات عندهم، يعنى نص ساعة لأختك مش هيخرب الدنيا.

وعندما خرجت من باب الشقة كنت قد أعددت سيناريو محكماً ودقيقاً قبل انفجار القنبلة الواضحة فى وجه زوجتى، والتى أحست بها ماجدة بمجرد خروج الكلمات من فمها، وحاولت كثيراً إصلاح ما أفسدته ولكنها زادت الطين بلة كما يقولون، ولم تجد مفراً من العودة إلى شقتها رغم أنها كانت تعرف أن عيد ميلاد ابنتى الصغيرة فى اليوم الثانى، وكانت قد اتفقت مع محمد على زوجها ، على البيات لمساعدة زوجتى فى صنع الحلويات .لم يبد على زوجتى أنها استراحت لكل

أحداث السيناريو المحكم والملئ بالمأساوية المفرطة فى أحوال عائلة الحاجة نعمة وأختها، وكان سؤالها الأخير واضحاً وصريحاً.

- أفهم من كده إنك خلصت مهمتك المقدسة وطلعت كارنيه تأمين للست فتحية دى والموضوع انتهى.

- أيوه .الحمد لله ربنا جعلنى سبب وخلص الموضوع.

كنت أبدو صريحاً تماماً وسريعاً فى الرد بثبات جأش كما يقول الأزواج عادةً.

فقالت بهدوء تحسد عليه:

- يعنى مالوش لازمه حكاية مرواحك عندهم وقعادك تلت ساعات مع الحاجة وجيهان.

حاولت التملص من الوعد الذى أرادته زوجتى، فقلت بعصبية واضحة لكل ذى عينين:

- جيهان إيه وتلت ساعات إيه .إيه اللى حود رأسك فى السكة دى، دا انا باعمل حاجة لوجه الله.

قالت دون أدنى التفاتة إلى عصبيتى التى بدأت لها ممثلة أو غير مقنعة على الإطلاق:

- أنا باسأل سؤال واضح ،الموضوع خلص بخيره بشره يعنى خلص؟

قلت بنفاد صبر واضح:

- أيوة يا ست خلص والحمد لله.

فقالت وهى ترفع صينية الفاكهة من فوق الترابيزة ببرود وتهكم:

ـ الحمد لله.

ودخلت إلى المطبخ ،وعادت لتحمل الصغيرة بين يديها، وهى تقول لها بصوت تعمدت أن يكون هامساً ومسموعاً فى نفس الوقت:

ـ وأنا باقول ماله الأيام دى متغير .لكن الحمد لله يا بنتى.

أشعلت سيجارة وبدوت كمن لم يسمع شيئًا، فأضافت بنفس نبرة الصوت:

ـ دا فى عيد ميلادك الثانى وعمل كده .أمال فى السابع هيعمل إيه، مش بعيد ألاقيه داخل علىّ ، وماسك فى إيديه جيهان نصر.

أطفأت السيجارة، ثم انسحبت بعيداً، تاركًا لها المكان لتتكلم مع الصغيرة بحرية أكثر.

* * *

كان أبو محمد يبدو عليه الشحوب والإرهاق فطلبت منه أن يجلس على حافة السلم، أمسكت بيده الضعيفة وأجلسته على بسطة السلم الرخام، فدعاني للجلوس جواره فجلست .كان محمد زوج أختى ما يزال فى حجرة التحقيق مع وكيل النيابة حين قال لى أبومحمد:

ـ تفتكر يا أستاذ سعيد محمد هيشوف الدنيا تانى؟

قلت بحدة وعصبية لا تليق مع رجل ضعيف كل هذا الضعف:

ـ هو محمد ابنك قاتل علشان تقول كده .ده موضوع بسيط جداً وهيخلص دلوقتى وهناخده ونمشى سوا.

ورغم خبرتى القانونية البسيطة .بل المضمحلة .كنت واثقاً كل الثقة وأنا أقول لأبى محمد هذا الكلام وكانت منابع الثقة متعددة .فأولا محمد الذى هو زوج أختى برئ تماماً من هذه التهمة الملفقة له .ثانيًا إن المحامى الذى معه ،قال عنه الرجل الذى نثق به أو المفترض أن نثق به ، لأنه نسيب محمد .إنه رهوان وحين سألته عن معنى رهوان .قال

دون أم ينتبه إلى تفاصيل وجهه:

ـ ده من عشر سنين آخر مرة شفته كان لابس الروب الأسود ورهوان فى المحكمة.

قلت له ليوضح الأمر لى: يعنى بيجرى من القاضى ولا بيجرى فى المحكمة وحين ذلك نظر لى وقال بحدة:

ـ بقول لك رهوان يا أستاذ سعيد، يعنى لبلب فى الكلام.

سكت وأنا أبحث عن أى شئ مشترك بين الرهوان واللبلب، وأخيراً انتهى بحثى عن تسرب بعض الثقة المفترض وجودها فى ذلك الشخص القريب الصلة بمحمد زوج أختى .أما ثالث منابع الثقة فقد قلتها لوالد محمد بفخر وعزة وثقة عمياء .دى نيابة يا عم على .يعنى مش القسم .هنا بيت الغلابة ولم أكمل الجملة حتى قاطعنى رجل يبدو عليه أنه لم يتجاوز الأربعين إلا بعام أوعامين على الأكثر وقال بتهكم:

ـ بيت مين يا عم.

انتبهت إليه، كان يجلس على الأرض أمامنا مباشرة وبجواره عسكرى .أخرجت علبة سجائرى وأعطيته واحدة وأخرى للعسكرى وأنا أمنحه معها لقب صول .أشعلت لهم وجلست بجوار عم على الذى كانت الدموع تتلألأ فى عينيه الواضح عليهما مدى السهاد والعذاب والقلق الذى عاشت فيهم ساعات مضت منذ جاء الضابط ومعه المخبرين وأمسكوا بابنه محمد مساء أمس .كان لا يعرف غير أن المهندس الذى اشتكى محمد هو أخو ضابط المباحث ومن أجل ذلك لن يرى محمد

النور بعد الآن ولابد سيوديه وراء الشمس حسب تعبيره .وبالتحديد كان موضوع أن المهندس أخو السيد رئيس المباحث هو أهم منابع الثقة بالنسبة لى فإن كان المهندس له أخ، رئيس مباحث .فمحمد له الله. الذى يدافع عن كل مظلوم.

ـ ربنا كبير.

هكذا خرجت العلامة من فم والد محمد .، خرجت الكلمة من فم أبى محمد لتعلن أن ربنا كبير .تململ الرجل الجالس جوار العسكرى وقال.

ـ أيوه ربنا كبير .ولكن فيه كبار برضه فى الدنيا ما اعرفش سايبهم ليه.

ـ ربنا يمهل ولا يهمل يا أخى، وكل واحد وله ساعة وبعدين دولة الظلم ساعة ودولة العدل إلى قيام الساعة.

ـ عدل إيه وساعة إيه يا أستاذ .العدل فعلاً اللى عمله محمد بيه العدوى .دا بقى كان رئيس محكمة الجيزة .لبس جلابية مقطعة وجاب كوزين درة مشويين وقعد يبعهم فى ميدان العتبة .شوية وجم بتوع البلدية وخدوه وسين وجيم .رد على البيه الضابط بكلام واحد بيفهم فى القانون يعنى نص نص .الضابط طبعاً معجبوش الكلام بتاع الراجل اللى لابس جلابية مقطعه وهو مش عارف أن اللى قدامه ده محمد بيه العدوى على سن ورمح .راح محوله على شرطة التسول وهناك عملوا له فيش وتشبيه وطبعًا روقوه بناء على توجيه السيد الظابط، والرجل استحمل علشان يشوف أخرتها .بعد ييجى اسبوع عرضوه على النيابة

اللى الاستاذ بيقول عليها بيت الشعب .آنست يا بيت الشعب .شعب إيه يا أستاذ اللى بيته هنا .دى حيا الله سميع الشعب .بس سميع لامؤاخذة على قد اللى قدامه .يعنى يسمع كويس للكبير ويادويك وصلة واحدة، أو وش الكلام من الغلبان تقول لى بيت الشعب .على رأى الست .شعب إيه اللى أنت جاى تقول عليه وبعدين ما شعار الشرطة أنها فى خدمة الشعب، وأنت وأنا وأى واحد عارف الشرطة بتخدم الشعب فعلا .بس لامؤاخذة، بتخدمه على قفاه :الشعب اللى بجد بجد فى بلاد بره .مش هنا المهم محمد بيه العدوى دخل على وكيل النيابة وكان كده عنده يجى سبعة وعشرين سنة، يعنى عيل من دور ولاده .قرأ المحضر اللى كان معمول تمام وبعدين سأله كام سؤال وفى الآخر إدالو أربعة حبس .استحمل الرجل كالعادة علشان يعرف العدل والحقيقة ويشوف إيه اللى بيتعمل فى الحجز ورجع تانى لوكيل النيابة أول ما شافه إدالو أربعة استمرار. الرجل طلب منه يخش لرئيس النيابة .ضحك وكيل النيابة وقال عليه مجنون وطلب من العسكرى أنه يأخذه من قدامه، قبل ما يحوله على مستشفى المجانين .الرجل طلع بره فى الطرقة وهات ينادى على رئيس النيابة ولحظه الحلو،سمع رئيس النيابة صوته، فأمر بدخوله بعد ما أتلطش من العساكر على الآخر دخل والدم عمال يشر من بقه والله العظيم رئيس النيابة أول ما شافه قام على حيله وضرب له سلام جمهورى، والعسكرى اللى كان ماسكه، بقى وشه ميت لون، مش عارف إيه ده اللى رئيس النيابة ضربله تعظيم سلام .شوية.ودخل وكيل النيابة على رئيس النيابة ،لاقى الرجل قاعد وحاطط رجل على رجل وقدامه القهوة ورئيس النيابة قاعد جانبه وعمال يعتذر وكيل النيابة اللى

كان عامل فيها ديك رومى وياما هنا وياما هناك خرج جرى، بعد أما عرف أن الراجل محمد بيه العدوى ومارجعش تانى خالص والرجل خرج بعد ما نضف النيابة والقسم وقعد ييجى تلتميه فى بيوتهم .ضباط على عساكر على مخبرين ورجع تانى المحكمة وتنه خمس سنين يدى براءة .مخدرات براءة .قتل براءة .سرقة براءة .كل حاجة براءة .ليه. علشان شاف الظلم اللى بيحصل جوه .هو ده العدل فعلا .مش تقولى دولة ماعرفش إيه ساعة ودولة إيه لغاية آخر ساعة .آخر ساعة دى يا محترم مجلة .يعنى جرانين .يعنى من الآخر كلام فى كلام .لكن العدل فعل مش كلام .أنا نفسى وكيل النيابة يسمع كلمة واحدة .نفسى يرفع البصمات من على المطواة اللى بيقولوا أنى اغتصبتها تحت تهديدها والله العظيم تلاتة المطواة دى طلعها فتحى حلاوة من درج المكتب ،وقال للبت هى دى المطواة مش كده .البت اتلجلجت .قام واقف على حيله وقالها انتى عليكى تقولى هى دى المطواة بس .حاكم فتحى حلاوة ده وش أذيه وحلف بأمه وابنه إنه يفسحنى عشر سنين. إن شاء الله يعدم أمه وابنه فى ساعة واحدة .فتحى ده بلوكمين المباحث .بس إيه يعمل المحضر مايخرش الميه .لا تقولى رئيس المباحث ولا المعاون حلاوة ده بقاله ٣٦ سنة شغال الشغلة دى .يعمل المحضر من ورقة واحدة يجيب خمسة مستريح .ابن الكلب عمل لى محضر من ١٥ ورقة .عارف يا أستاذ هما لو سابونى أقعد مع البت خمس دقايق قبل ماتدخل لوكيل النيابة .أنا كنت عملتلها غسيل مخ تمام وخليت الحاجة تروح ليهم البيت وأتجوزها وأعيش معها فى الهو والطراوة ، بدل ماهاعيش عشرة سنين بسبب فتحى حلاوة منفوخ على

٢٨، بس لو وكيل النيابة يرفع البصمات يبقى فعلاً فعلا هو بيت الشعب اللى بتقول عليه ، ولع بقى يا أستاذ .أدينى خليت الراجل الكبير ينسى شويه حكاية ابنه .حين ذلك نظرت إلى عين عم على فوجدته مشدوداً تماماً إلى وجه الجالس أمامى وفى عينيه علامات كثيرة لم اتبين مغزاها وإن كانت كلها تنتمى إلى الإبهار بهذا الرجل الذى سوف يدخل السجن عشر سنين ويضحك هكذا .وربما كانت هذه النظرة هى عدم التصديق أو أى شئ آخر لا أعرفه .حين سمعنا الجرس الواضح وقفت وخطوت خطوات مسرعة كان العسكرى يمسك بيد محمد ويخرج ومن بعيد رأيت وجه عم على، الذى كان يبحث فى عينىّ عن كل منابع الثقة التى تلاشت بمجرد ظهور الرهوان مرتديا البالطو الأسود ومنكس الرأس.

* * *

قلبى دليلى

بمجرد أن دخلت إلى شقتها، اعتذرت لى عن المشكلة التى وضعتنى فيها .حاولت التخفيف من هذه المشكلة ولكنها قالت لى:

- أنا عارفة مراتك كويس .بس ورحمة أمك أنا ماكانش قصدى .لو كان اتقطع لسانى كان أحسن ما عكنن عليك.

ضممتها إلى صدرى ومسحت بعض الدمعات التى وجدت الفرصة أمامها للنزول وطمأنتها تماما على مكانتى ومركزى فى البيت .قالت بعد أن هدأت قليلاً:

- الست الحاجة أم عمر عازمانا على العشا أنا وأنت ومحمد على. لكن أنت عارف محمد التجارة واكله دماغه ومش فاضى غير لكتابة شيكات على الناس ومش هيرجع كالعادة قبل الساعة واحدة .حاولت التحجج ببعض المشاكل البسيطة التى بدأت تظهر فى المعدة ولكن جيهان التى كانت تقف فى البلكونة ،حين دخولى إلى المنزل وفتحت الباب وكدت أجرى إليها وأضمها بين ذراعى ولكنى دخلت مباشرة إلى

شقة أختى حتى أستطيع السيطرة على دقات قلبى ، التى كانت أسرع من مترو الأنفاق، لم تقتنع بتلك المشاكل ووضعت أمامى نصف أنواع اللحوم الحمراء والبيضاء الموضوعة على السفرة .كنت أبحث فى عينى ماجدة عن منفذ صغير لتوترى الظاهر وعن مخرج لذلك الشوق الذى بدا فى عينىّ وأنا أحاول الهروب من عينى جيهان المسلطتين علىّ، ولكن ماجدة التى يبدو أنها تعرف ما بى وربما تباركه وأحست أنها تشارك فيه .فلابد أن جيهان تكلمت معها ومن أجل ذلك حاولت أن تأخذ عينى الحاجة أم عمر بعيداً حتى لا تلحظ هذه العلاقة التى بدأت فى غفلة منها وهى المدرية تماماً لمعرفة تلك الأشياء .هذه العلاقة التى ورطت فيها نفسى بكامل إرادتى وأصبحت الآن بالتحديد .أخاف على افتضاحها وأندم على عدم القدرة على إتمامها .أخرجتنى الست توحة من حالة الارتباك والتفكير والندم .حين دخلت علينا، كان شعرها مضفراً كعادتها ضفائر صغيرة تظهر من تحت الطرحة البيضاء وترتدى جلباباً أبيض نظيفاً وتمسك بيدها سبحة طويلة، حباتها خضراء. قبلتنى فى يدى كعادتها وجلست جوارى على الكنبة فصرنا ثلاثة وأمامنا تجلس على وسائد صغيرة جيهان وماجدة .كانت جيهان تنظر فى الأرض منتظرة فرصة صغيرة لتضع عينيها فى عينى مباشرة للحظة ثم تدعنى أدخل بوابة الندم اللانهائية .وقفت الست توحة منذ المشاهدة الأولى للفيلم «قلبى دليلى»، وأشارت على وجه أنور الذى كان قد غدا لى شبه محفوظ.

كان هو أحد أفراد العصابة المكونة من استيفان روستى وفريد شوقى ومجموعة بينهم أنور وما إن عادت إلى الكنبة بعد أن أشارت إليه ،

حتى قالت بصوت أشبه بالدعاء: الفيلم دى صورناه فى استوديو مصر والمناظر الخارجية فى الفيوم ،الست أحلام أم أنور ماتت فيه، الله يرحمها .كانت ست ولا كل الستات .كانت عارفة إن أنور بيحبنى وكانت فرحانه قوى بيه .أنت عارف الأستاذ أنور وجدى عزانى فيها والست ليلى مراد وكل اللى كانوا شغالين فى الفيلم .أنور كان بيعمل فى مشهد التليفون اللى هاييجينى بعد شوية .دا كان تانى منظر على طول فى التصوير .رغم إنه فى آخر الفيلم .أنت تفتكر أنهم بيصوروا الفيلم ورا .بعضه زى مابيظهر على الشاشة كده .لا .دا ممكن يصوروا مشهد النهاية أول حاجة .المهم كانت الست ليلى، ماسكة التليفون وقاعدة تتكلم مع أنور وجدى ورا الزير ،وأنور بيلاعب فريد شوقى كوتشينه. وعمالين يشربوا ويسكى .انت عارف استفان روستى، كان مابيرضاش يشرب العصير اللى حاطينو فى الأزايز ويقولوا عليه ويسكى فى الفيلم. كان لازم يشرب ويسكى حقيقى وكان يرمى القزايز اللى مليانة عصير ويقول أنا بامثل بجد .الله يرحمه بقه .أنور ماكانش بيعيد أى مشهد يعمله أبداً .دايماً حد غيره هواللى يكون السبب وفى اليوم ده فريد شوقى خلاهم يعيدوا الشوط أربع مرات . هو اسمه كده الشوط .وفى المرة الخامسه لقى الباشكاتب قدامه .بص شافه وهب راح صارخ وقال يا حبيبتى يا أمه .أنا ماكنتش لسه اتجوزت بس كنا بنحب بعض واى فيلم يشتغل فيه أبقى معاه .أنا ماشفتش البشكاتب أما دخل .أنا فكرت أنور اتقمص الدور، رغم أنى كنت شايفه الشوط قبل كده اربع مرات ومع كده أنا اكسفت قوى .حاكم دى كانت أول مرة البشكاتب يشوفنى مع أنور، حطيت وشى فى الأرض وهو كمان ماعرفش شكله كان عمل

كده ليه .أنا ماكنتش أعرف أن الست أحلام ماتت الله يرحم الجميع . دفناها وتانى يوم أنور كان بيعيد نفس الشوط اللى هتشوفه دلوقتى .ثم وقف وخطت خطوات فى اتجاه الشاشة وأشارت عليه .كان يلعب الورق مع فريد شوقى ويشرب الكأس ثم يعيده ومن بعيد يأتى صوت ليلى مراد وهى تسأل أنور وجدى نفس السؤال الذى يظهر فى عينى جيهان. رغم علمها التام، منذ اليوم الأول لتعرفى عليها، أننى متزوج وعندى طفلة صغيرة .

* * *

كانت تجلس على الأرض واضعة الطشت النحاس بين رجليها، حين دخل عليها إبراهيم مسرعا وقال لها:

-أبويا عمل حادثة بالتاكس .

ضربت بيدها غلى صدرها وحاولت النهوض ولكن الطشت المليء بالمياه والملابس أعادها مقدار السنتيمترات الصغيرة التى ارتفعتها عن الأرض .فعادت بمؤخرتها قليلا على الأرض وسحبت إحدى قدميها ووقفت وهى لا تعرف ماذا تفعل .

أمسكت بالطرحة وخرجت مسرعة إلى شارع بولاق .كـــانت كالمجنونة لا تعرف أين تمضى . سمعت من بعيد من ينادى عليها. كان البشكاتب المنسترلى مرتدياً جلباباً أبيض ، وقفت وهى لا تعلم ماذا يريد منها .

كان إبراهيم يقف جواره فعرفت أنه عرف بالحادثة .طلب منها أن تنتظر ثوانى حتى يلبس القميص والبنطلون وقفت حائرة لا تعرف ماذا تصنع، هل تجرى حيث لا تعرف أم تقف هكذا .

كانت الثوانى تمر بطيئة وهى تلتفت يميناً ويساراً جاء الباشكاتب وجدته أمامها مباشرة ،رغم أنها كانت تنظر إلى البيت الذى سيخرج منه، والذى هو فى ذات الوقت بيتها .أشار البشكاتب لأحد التاكسيات، وفتح الباب وأدخل دميانه وحاول أن يغلقه ولكن ابراهيم صمم على الدخول معها، فأغلقه بعد أن دخل وجلس جوار السائق وقال له: القصر العينى يا أسطى.

كانت لا تعرف بماذا ترد على كلمات البشكاتب الذى راح يطمئنها إن ربنا موجود وأن المسألة خير بإذنه عز وجل، وكل هذه الكلمات التى لابد أن يقولها أى أحد لا يكبش النار بيديه، كما كانت تفكر .كانت كل العلامات تشير بأن رياض عوض الله لا بد قد مات .ابتداء من الحلم الذى حكته لرياض أول أمس، وكانت فيه تركب مركبا داخل البحر وجوارها رياض زوجها ، وإبراهيم ومنير ومجدى أطفالها الثلاثة .وفى لحظة واحدة لم تجد رياض بجوارها .فراحت تنادى عليه بصوت عال ،ولما لم تجد أمامها أى فرصة لعودته، حاولت أن تعود بالقارب إلى الشط ولكنها كانت كلما اتجهت إلى اتجاه كان تمساحاً أو شيئًا يشبهه يقف أمامها .حتى إنها احست باليأس .ولمدة ساعتين على الأقل ظلت تناضل من أجل الخروج من البحر .لكنها استيقظت والعرق يتصبب منها .وجسدها منهك حتى أنها لم تستطع أن تقول لرياض، الذى كان

ينام بجوارها .أعطنى شربة ماء .عاد البشكاتب من الدور الرابع وعلى وجهه علامات الأسى .فلم تستطع قدماها أن تتحملها ونزلت على الأرض وراحت فى غيبوبة لمده أسبوع .تم خلاله دفن رياض وعمل عزاء له .حتى أنها حين أفاقت فى اليوم الثامن ورأت أم أنور تجلس بجوارها أم فتحية زوجة سيد محمود ويرتديان ملابس سوداء ،لم تفهم سبب ذلك . طلبت من أم أنور أن تعدلها حتى تستطيع أن ترى وجوههم وتعرف ما حدث، وبمجرد أن جلست على السرير، تذكرت وجه البشكاتب وهو يهبط الدرج وفى عينيه بعض الدموع، وللحظة عادت لها حالة الإغماء . ثم أفاقت وهى تقول: «مع المسيح والشهداء ذلك أفضل يا رياض»، ولم تتكلم مرة أخرى فى هذا الموضوع ورفضت أن يعزيها أحد .الأسطى رياض عوض الله لم يكن يعمل فى مصلحة حكومية .بل كان يعمل سائق تاكسى ولذلك لم يكن هناك أى شئ يساعد أسرته الصغيرة بعد موته على استمرار الحياة .حين سمعت الخبطات القليلة على الباب أمرت إبراهيم أن يفتحه .

كانت أم أنور تقف أمام الباب مباشرة، وهناك على البعد حيث شقتها، يقف البشكاتب حاملا ماكينة الخياطة السنجر .استأذنت أم أنور دميانه أن يدخل البشكاتب فوقفت على قدميها الخائرتين وقالت بصوت عالٍ: أهلا وسهلا البيت بتكم، هو الأستاذ أبو أنور غريب .تحركت قدم البشكاتب بناء على إشارة من يد زوجته وصوت دميانه ودخل من باب الشقة وهويقول : يارب ياساتر.

وضع الماكينة على الترابيزة وقال:

أظن أنا مش محتاج أفكرك .إنى أخوكى وأخو المرحوم رياض، وعلشان كده كلى عشم أنك تمنى علينا وتاخدى المكنة دى والست اختك أم أنور هتعلمك عليها والبركة إن شاء الله فِى القليل .

لم ينتظر الرد حين رأى الدموع فى عينى دميانه. انسحب دون كلام وترك زوجته تواجه سيل الدموع الذى لم ينقطع على مدار خمسة وعشرين عامًا .حتى حين كانت تحتفل دميانه بزواج مجدى أصغر أبنائها، لحظتها أعادت تركيب حلم المركب مرة أخرى، وعرفت أنه كان حلما صادقا .فهى الآن، وبعد مرور ربع قرن على وفاة رياض، تتذكره، وتتذكر تفاصيل اليوم الأخير فى حياتها معه .

* * *

مجنون كاميليا

تعرف أنك فيك حاجة من مجنون كاميليا.

كانت لمعة عينيها تكاد تعكس وجهى كاملاً بحروقه .حين قــالت تلك الجملة وكنت لحظتها أنظر إليها وإلى الصورة التى كانت تقف فيها بجوار عماد حمدى ويظهر من بعيد أنور المنسترلى.

ـ مجنون كاميليا مين ؟

ـ الأستاذ أحمد حشمت .مجنون كاميليا الفنانة والراقصة العظيمة .

كاميليا بتاع عبد الفتاح القصرى أما قال: « أنا فى عرض مرصد حلوان ».

ـ أيوه هى دى .اسم الله عليك .

ـ وأنا فىّ إيه من الاستاذ أحمد حشمت يا حاجة .

ـ ملامـحك يمكن .روحك برضـه يمكن .المهم إنى حاسه إنك فيك من أحمد مجنون كاميليا .

ـ يعنى أحمد ده كان كويس ولا وحش علشان أشوف ازعل ولا أفرح؟

ـ وحش .وحش ياكل مصارين اللى يقول كده .اسم النبى حارسك وصاينك أحمد ياه .دا مرهم .علشان كده مات بدرى .بعد الشر عليك. ثم دمعت عيناها فأمسكت بطرف الطرحة البيضاء ومسحت عينيها ثم صوبتهما إلى شيش الشباك الذى كان يعطى خطوطاً بيضاء من بين خصاصة .كنت أفكر فى تلك المقولة التى اتحفنى بها مجموعة من الناس وهى أنى أشبه دائما أحداً عزيز لديهم ودائما أيضًا ما يكون راحلاً .ربما كانت تفكر فى تجميع صورة كلية لأحمد أو بعض تفاصيل وجه وجسد كامليا؛ لأنها كانت تغمض عينيها ثم تعود لتسلطهما على الخطوط البيضاء فى الشيش .ثم تفتح عينيها قليلا وتغمضهما مرة أخرى كأنها أمسكت بما كانت تفكر فيه .قلت لها لأخرجها من حالة الشرود:

ـ يعنى أعمل حسابى خلاص هاودع.

ـ بعد الشر عنك وعن شبابك، أنت بتقول كده ليه؟

ـ يعنى علشان فىّ حاجه من الأستاذ أحمد حشمت، وهو مات.

ـ أحمد ياه .ثم سكتت لحظات كأنها تجمع كل مفردات الفيلم الذى تحكيه عن أحمد وقالت:

ـ أحمد ده كان مصوراتى الأفلام .مش مصوراتى الأفلام .قصدى مصوراتى الفنانين اللى بيحبوا يتصوروا أثناء العمل، وكمان كان بياخد

الصور اللى بتتحط على الأفيش، أنت عارف .من سنة ٤٩ لغاية سنة ٥٤ مافيش ولا افيش اتعلق مايكونش بتاع أحمد .دا ياما فنانين حبوه. لكن هو كان بيحب كامليا .تعرف ، الست نعيمه عاكف حبته قوى لكن هو كان بيحب كامليا وبس وهى كانت عارفه كده. أحسن صورة تطلع لازم تكون ليها، أنا شفته وهو بيصورها آخر مرة .والله كأنه بينحت تمثال مش بياخد لقطة، وهى كمان كانت سايبه وشها له ومغمضة عينيها تقولش لامؤخذه متجوزين وبعد ييجى خمس دقايق فتحت عينيها وخدت اللقطة .الله يرحمها بقى الست فردوس محمد ، أمنا كلنا .نادت عليه وقالت له :

- يا احمد اتجوزها وخلاص .

عينيه دمعت كده وقال لها:

- اخطبيها لى يا امه .

- والله العظيم تلاته الست فردوس قامت على حيلها وراحت واخده احمد فى حضنها، مسكت إيده ودخلت على الست كامليا فى الاوده اللى بتستريح فيها .أنا كنت شايفاهم طشاش كده .بس شويه واحمد طلع ووقف بعيد .لكن كان وشه عمال يروح لون وييجى لون والست فردوس اتأخرت قوى ،وكل اللى كانوا فى الاستوديو كانوا بيبصوا لأحمد الواد يا روح امه حِس بحاجه .اتكسف ماعرفش .المهم راح ماشى بسرعه وتانى يوم قالوا إنه انتحر .رمى نفسه من الدور السابع من فوق عمارة استرند .حاكم هو كان ساكن فيها .انت عارف لو كان صبر نص

ساعة كان اتجوزها .حاكم أنا فاكره كويس إن الست فردوس كانت خارجه من عند كامليا وعلى وشها كده أمل. هى ماكانتش بتضحك بس هو كان أمل والسلام.

* * *

تركتني أبحث في وجهها عن ذلك الجمال البعيد الغائر تحت وطأة السنين الطويلة دون أن تحول عينيها بعيداً عني ورغم ذلك كانت تبدو بعيدة جداً وكأنها لا تراني .انتبهت إلى شرودي .فرحت أبحث عن عيني جيهان وأرى ملامحهما بعد سنوات طويلة ربما أكون غير موجود فيهما .أغمضت عينيها فلم أعد أرى ملامح وجهي التي كنت أتأمله داخلهما .أحسست بحاجتي لإشعال سيجارة فأشعلتها وأنا أغير اتجاه وجهي إلى الجهة الأخرى، ما أن سمعت احتكاك عود الكبريت بالشطاطة حتى امتلأت عيناها بالرعب:

ـ هل تخافين النار؟

لم تنتبه إلى سؤالي أو إليّ .كانت عيناها مازالتا معلقتان بعود الكبريت ،الذي قارب على إشعال أصابعي ولا أعرف لماذا لم ألق به! ما إن استقر على الأرض حتى عادت عيناها من جديد تمسكان بتفاصيل بعض الحروق في وجهي وكأنها تراها الآن فقط .

ـ ماتأخذناش يا بنى ده معاد الحقنة ولازم آخدها .حــاكم أنا لو اتأخرت شوية أحس بسيخ محمى فى مفاصلى.

أمسكت بيد الحاجة وأرحتها على الكنبه وأنا أحاول أن أبدو طبيعياً.

ـ أوعى تكونى ضايقتى الأستاذ يا فتحية.

نظرت فتحية إلى الحاجة ثم نظرت إلىّ وحركت قدميها فى اتجاه البـاب المؤدى إلى الداخل دون أن تنطق بكلمــة .اختفى وجـه وجسد جيهـان مع «الجرم الصغير» .كنت مـازلت مـحتـفظاً بالزيارة الأولى وتعليقات الست فتحية وحركات يديها وفرحت كثيراً حين تركتنى الحاجة واستأذنت لتأخذ الحقنة .فى الأيام الماضية تمنيت كثيراً أن أعرف كل تفاصيل حياة فتحية، وما إن خرجت الحاجة حتى قلت لها بصوت ملئ بالعذوبة والرقة:

ـ إزيك يا ست فتحية؟

نظرت إلىّ ثم نظرت إلى الشباك ولم تعرنى أدنى كلمة .وبالرغم من علمى إن الست فتحية غير طبيعية كما حكت لى اختى عنها .إلا أننى منذ الأسبوع قبل الماضى وأنا أمنى نفسى بالجلوس معها ومعرفة تفاصيل حياتها مع زوجها الفنان أنور المنسترلى .كنت خــــلال الأسبوعين أعيد ما حدث منها وهى تحكى لى الفيلم .كـــانت تتكلم بتركيز وعشق فى نفس اللحظة .كما أنى لم أعر كلمات أختى عنها أدنى جدية .لأننى رأيتها بالعين وأحسست أنها تملك عقلاً واعياً يمسك بأدق تفاصيل الماضى.

ـ مالك يا أستاذ .أوعى تكون زعلان من فتحية.

ـ أبداً يا حاجة .دى حتى مافتحتش بقها بكلمة واحدة.

ـ هى كده كل يوم فى شأن .مرة تبقى عاقلة على الآخر .ومرة هيمانة فى ملكوته وساعات يطلع عليها إنها فى الأستوديو ولازم تمثل ادوار أنور جوزها .أحوال يا بنى وربك مقضيها.

ثم سكتت برهة صغيرة ثم قالت :

ـ فتحية كانت أصغر من أنور بعشر سنين وابتدت حكايتهم من ساعة ما راحت تتعلم الخياطة عند الست أحلام والدته .كانت بتحبه قوى وهو كمان كان بيحبها موت ،قعدوا سبع سنين قبل الجواز بيحبو بعض.وهو كان بياخدها فى كل الأفلام اللى بيشتغل فيها .لغاية ما الباشكاتب وافق على جوازهم واتجوزوا وكان فرح والله يا بنى لغاية دلوقتى بولاق أبو العلا بتحلف بيه .عبد المطلب وشكوكو وعبد الغنى السيد غنوا فيه والواد عزت أبو ركبه كان جايب كل نسوانه اللى اتجوزهم وطلعهم يرقصوا وكان منهم نجوى فؤاد .الفرح استمر لغاية الشمس ماطلعت وحضره ممثلين كتير قوى .إسماعيل ياسين يومها طلع قال منولوج يا عينى على العز، ورغم إن أمى الله يرحمها كان نفسها تجوز توحه للأستاذ عنتر أبو هيف ،إلا إنها ماصدقتش نفسها أما شافت كل الفنانين وطلعت على المسرح ورقصت كمان مع واحدة من نسوان أبو ركبه .أنور خد توحة الصبح وراحوا شقة الأستاذ محمد الزرقانى الممثل وقعدوا فيها ييجى خمس تشهر .أنا رحت لها مره واحده فى الصباحيه وبعد كده انشغلت فى جوازى وقعدت ست سنين

ماشفتهاش فيهم ييجى عشرين مرة .حاكم هى كانت ملازمة أنور منين ما يروح، وانا كنت فتحت الدكان وهى لوجه الله ساعدتنى فى الأول من ورا الحاج محمود الله يرحمه .ثم سكتت برهة من الوقت .

- إلاّ قل لى يا بنى :هى الست اللى بتدى حاجة لاختها أو أمها أو أى حد من عيلتها من ورا جوزها ربنا يحاسبها؟

ما إن سمعت السؤال حتى قلت دون علم برأى الدين فى تلك المسألة:

- لا أبدا طالما كانوا محتاجين.

- على رأيك يا بنى ما هو ربنا رب قلوب فى الأول وفى الآخر.

* * *

كم هـى جـمـيلة هذه البلد .ما إن شاهدتها حتى وقعت فى حبها. تختلف كثيراً عن إيطاليا التى ولدت وعشت فيها أربعين عاماً ولم أكن لأتركها أبداً، لولا جوستاف ابنى .بمجرد أن انتهت الحرب سنة ٤٥ وسمحوا لى بالسفر جئت إلى هنا لأبحث عنه .

كانت المرة الأولى التى أترك فيها إيطاليا .ذهبت إلى العلمين وكدت أموت فى اليوم الثانى لوصولى إلى هذه البلد لولا شهامة واحد مصرى زى ما بتقولوا .كنت رايحة العلمين أدور على اسم ابنى ودوست على لغم ،أنا حسيت بيه لأنى كنت قرأت اليافطة المكتوبة قبل أما أدوس عليه بمسافة عشرة متر .فضلت واقفة سبع ساعات فى عز الشمس لغاية ما شالوا اللغم ولولا كده كنت زمانى فوق فى السما من ييجى خمسه وعشرين سنة، يمكن الحادثة دى هى اللى خلتنى أقعد هنا وخففت عنى شويه غياب جوستاف .سبع ساعات وأنا بين الحيا والموت .فكرت فى كل حاجة تتخيلها واحدة بتواجه الموت .لعنت

الحياة فى إيطاليا اللى خلتنى آجى هنا وأدور على اسم ابنى فى وسط أسماء كتير قوى .أربعين سنة فى إيطاليا .عملت فى كل الحرف دون أن أفوز بالراحة فى أى منهم فما كدت أحب الكتابة على الآلة الكاتبة حتى عرفت دى نافاراتى .شاب أسبانى .منحنى ثلاثة شهور من السعادة ثم ترك فى بطنى جوستاف وهرب بمجرد أن قلت له انى حامل، وطردنى صاحب العمل بمجرد أن غبت أسبوعاً بسبب متاعب العمل .فكرهت الآلة الكاتبة وعملت فى مصنع تقطيع وتعبئة لحوم ظللت فيه حتى شب جوستاف وأصبح عنده سبع سنوات .ثم تركته من أجل زميل كان كل همه أن ينام فوق جسدى ثم يتركنى وقتما يشاء، دون أن يطفئ نارى المتقدة .عملت بعد ذلك فى محل لبيع الكتب ولكنى لم أستطع التعامل مع أولئك المترددين على المكتبة فهم أناس يعيشون فى منطقة منعزلة عن الحياة .ما إن ترد عليهم وتقول سعر الكتاب كذا مائة ليرة حتى يعيد عليك السؤال مرة أخرى .فتقول له وقد نفد صبرك بعد سؤاله عن العديد من الكتب .عند ذلك يترك السعر جانباً ويروح يؤنبك على كيفية الرد وكيفية التعامل مع المثقفين .أف على هؤلاء المثقفين لابد إنهم يحسون بأنهم أفضل منا بكثير .كثير منهم على الأقل يفكرون هكذا .ثم عملت فى أعمال كثيرة قبل أن انتهى بالعمل فى حانة صغيرة لواحدة اسمها ماريا وهذه بقى حكاية لوحدها . ماريا هذه، دى كانت خزنة فلوس .أهم حاجة فى الدنيا عندها الفلوس .مش مهم أى حاجة تانية .القرش اللى يخش مش ممكن يطلع، وكان عندها استعداد تشرب المحيط دون أن تدفع مليم ، وعندما تشبع من الشرب كانت تجلس تغنى أغنية حزينة تقول كلماتها:

- «أيها البحار الذى ولد فى بالريموا .أنت بالتأكيد تعرف الغوص. تماماً كما تعرف الأم ابنها الوحيد من بين عشرات الأبناء .فلتنزل من أجلى البحر .إن لى ابناً صغيراً جره السمك المتلألئ إلى القاع .لم يكن يعلم حين ذهب ليجلس على حافته إن السمك سيمسك به ولن يتركه إلا فى القاع .فمن أجلى ضع كل الأشياء التى تحميك من هذه الأسماك المتوحشة وأنزل إلى هناك حيث يشير قلبى وستجده لا ريب أيها البحار الذى تعلم الغوص فى بالريموا .أفعلها من أجلى أنا الحزينة التى خطف البحر ابنها الوحيد».

كنت أعرف أنه بمجرد انتهاء المقطع الأخير من هذه الأغنية يمكن لأى شخص فى العالم أى شخص .أن يأخذ مفتاح خزنتها ويتركها عارية تماماً من هذه الأموال التى لا ترى الشمس بمجرد دخولها إلى الخزينة .أحد عشر عاماً قضيتها عند ماريا وجاءت هذه الفرصة خمس مرات على الأقل وكدت استغلها فى المرة الأخيرة لكننى ما إن فتحت الخزنة حتى وجدت صورة ابنها ، الذى لم أكن أعرف أن الأغنية له. فأغلقت الخزنة وخرجت .كانت تستحق بالفعل أن تترك عارية نظراً لسوء طويتها .أنا قعدت شهرين فى العلمين أراجع كل الأسماء وفى الآخر قالوا يمكن يكون هرب مع اللى هربوا وقعدوا فى مصر .نزلت على طول ورحت السفارة بتاعتنا ودفعت تحويشة العمر وده يضحك علىّ وده يخدعنى حتى لم يبق معى غير تذكرة السفر، وقررت أرجع، لكن واحد من الموظفين أقنعنى إنى استنى شوية علشان الشباب اللى هربوا وقال لى إنه كتير منهم يخاف الظهور، وإنه سمع اسم ابنى من واحد كان هربان ولسه ظاهر الأسبوع اللى فات .فقلت له على حكاية

الفلوس اللى خلصت فعرض علىّ فلوس .بس أنا رفضت فعرض علىّ اشتغل فى السيما وفعلاً اشتغلت فى ييجى عشرة أفلام . كنت ساعات أرقص مع الراقصات وساعات أطلع فى البار وحاجات زى كده وفى فيلم قلبى دليلى ، اتعرفت على أنور المنسترلى، ورحت المنطقة بتاعته، وحبيت المكان ، وعرفنى على شلته وكان منهم عزت أبو ركبه. الموظف فى وزارة الأشغال بالنهار، وعازف الإيقاع بالليل وبمجرد ما شاهدته لا اعرف ما الذى جرى لى، فى عينه كده حاجة تشد .احنا بنقول عليها سكس أبيل .معرفش انتو بتقولوا ايه ومره واحده لقيتنى مش عاوزه أعيش معاه .لا اعرف لماذا .يمكن لطشة الحب انطفت أو عمايل أمه أو حكاية جوازة الكثير هى السبب .حاكم أنا عرفت أنه بيتجوز كل شهرين واحدة .مش عارفه .بس هو حقيقى طيب وحنين قوى وعمره ما خلانى أدفع قرش فى أى حاجه .بس قسمه ونصيب زى ما بتقولوا وبعدين لقيت حكايه السيما دى مش عاجبانى .رحت اشتغلت فى مستشفى فاروق، اللى بقى اسمها دلوقتى مستشفى الجلاء اربع سنين وكل أسبوع يوم الإجازة كنت أقضيه مع جاك الموظف اللى كان شغال فى السفارة وهو كان بيحبنى قوى وكان نفسه أسافر معاه تركيا .حاكم هو اتنقل هناك .لكن أنا رفضت وبعد ذلك نسيت حكاية السفر خلاص ، ونسيت كمان ايطاليا، وبقيت بنت البلد دى .أنا ماسبتش مستشفى الجلاء هما اللى استغنوا عنى .حاكم بعد سفر جاك لم يعد احد يسندنى فى المستشفى، وهما خلونى غبت أسبوع .أنا كانت بتجيلى حالة اكتئاب، ملقاش قدامى حل، إلا إنى أسافر العلمين .أمشى قدام المقابر وأدور على جوستاف .رجعت مرة لقيتهم فنشونى. رغم إنى ياما

غبت بالاسبوعين أيام جاك، وعمر ما حد قال لى أنتى كنت فين .أنا كنت خدت شقة صغيرة فى الزمالك ، حجرة واحدة وصالة وحمام ومطبخ .لم أجد أمامى إلا السفارة، رحت أربع ايام ولا حد سأل فيّ، فى الآخر فيه موظف كان زميل جاك قال لى:

- إن السفارة بتجدد الانتيكات القديمة بجديدة وعرض علىّ آخد الانتيكات وأبيعها وفعلاً أتى بعربية صغيرة ،وملاها على الآخر ، وجاء ببعض الأوراق لأوقع عليهم، ونقلتهم إلى الشقة، ومن هنا ابتديت أبيع الانتيكات ، وأهى والحمد لله مكفيانى، وادينى عايشه كويس، وأنا كاتبه وصيه فى السفارة أنى أندفن هنا .حاكم أنا حبيت مصر قوى ، والمصحف الشريف .ثم ابتسمت ، وغيرت اتجاه الكرسى ونظرت باتجاه الناس الذين كانوا يمرون سريعاً دون الالتفات إليها.

* * *

كـان قـد مـضى أربـع سنوات على زواج أنـعـام، ابنـة السـيـد زغلول العريان، من المعلم محمد الجزار صاحب محلات العطارة، الذى ضحك أبوه، الذى هو الجزار الكبيـر، على الخـواجـه جـان عيـد واشـتـرى منه مـصنع الزجاج ،الذى كـان بجـوار المخازن العسكرية للإنجليز .المـكـان القـديم لفندق هيلتـون الآن .أربع سنـوات اسـتطاعت خـلالهـم أن توقف زيجـتين للمعلم كـانتا على وشك الحدوث .كما أنها استطاعت أن ترمى بأقدم زوجة للجزار خارج البيت ومن هنا استفرست بالبيت الذى لم يعد به ســوى ألطـاف .الزوجـة السابقة عليها. كانت بالحجرة حين سمعت الطاف تقول للخادمة:

- ما هى لازم تعرف ما هو كان حبيب القلب.

مـا إن خرجت من الحـجـرة، حتى اكتشفت إن ألطاف كـانت تحكى للخادمة عن شئ يخصها .ارتسم على وجهها الغضب وهى تنظر لها،

فلم تجد ألطاف إلا الانسحاب بخطوات بطيئة، لتدخل حجرتها ولكن أنعام قالت لها:

ـ مين حبيب القلب ده يا ألطاف؟

عادت الخطوات القليلة التى خطتهم ووقفت أمامها وقالت:

ـ مفيش حاجة يا أنعام.

ـ فيه إيه يا ألطاف اتكلمى أحسن وحياة النبى أما ييجى الحاج أخلى ليلتك سوده.

ـ لا سوده ولا بيضه .بيقولوا حسن العدل مات فى الحرب.

لم تكن قد رأته خلال الأعوام السابقة، فمنذ أن أمسك السيد زغلول العريان بيديها، وسحبها من جواره، ودخل بها البيت وهى لم تره. قالت الست أحلام للسيد زغلول بصوت عال وعصبية واضحة:

ـ أنت عملت إيه يا عريان.

لكنه لم يلتفت إليها، كان مازال يمسك بأجمل أحلامه، ومن أجل ذلك لم يلتفت إليها وأشعل سيجارة وجدها فى يده، وحين ذلك نظرت إليه أحلام نظرة لم يعرف معناها ،ثم قالت بصوت أعلى:

ـ أنت اتخبلت فى نافوخك يا عريان، وكمان بتشرب سجاير، وكمان ملفوفة حشيش.

انتبه زغلول إلى أنه أشعل سيجارة للمرة الأولى فى حياته، لكنه سحب منها نفساً طويلاً وراح يراجع كل مفردات حلمه، الذى تم على

أكمل وجه تمناه طيلة اثنين وأربعين عاماً وبضعة أشهر . وبعد أن أنهى مراجعة كل تفصيله صغيرة قام بها على خشبة المسرح، وراجع فونتتات الصوت، و تمنى للحظة إن تكون أكثر حدة. لكنه لم يحزن لذلك، وابتسم و هو يطفئ السيجارة الأولى فى حياته مع آخر مشهد فى الذاكرة .كانت زوجته تجلس على الكنبه أمامه مباشرة، تنظر إلى وجهه الذى تغير كثيراً منذ سألته عن تدخينه ، و هناك فى الركن تجلس أنعام بفستان الفرح الأبيض و التاج على رأسها مازال ـ رغم الخطوط السوداء الرقيقة و الكثيرة التى تمتد من حدقة العين إلى منبت الثديين. نظر العريان إليها كثيراً، ثم رجع إلى حلمه مرة أخرى، وراح يفكر أنه أضاع سنوات من عمره فى حلم كان سهل المنال لدرجة فاجأته هو ذاته، ومن أجل ذلك. ربما أنب نفسه فى هذه اللحظة ،لأن زوجته سمعته يقول بصوت ملئ بالآسى: .

ـ يا خسارة!

و هنا بالتحديد قالت الزوجة بصوت يملؤه التأنيب:

ـ خسارة إيه يا عريان. ما أنت اللى عملت فينا كده بدماغك الوسخة ،حين ذلك اشتعل الحشيش الذى شربه دون أن يدرى فى رأسه، وانتفض للمرة الثانية فى ذلك اليوم، وهى المرة الثانية فى حياته ـ أيضاً ـ وقام إلى زوجته ،التى قالت جملتها ونظرت إلى ابنتها تتحسر على بختها العرة فى أبيها .وبرك عليها ولم يتراجع إلا بعد أن أجبرته ابنته أنعام، وأحمد، وفاروق على التراجع حين تكوموا فوق جسد الأم، الذى

ترنح تحت وقع الخبطات السريعة والحاسمة للسيد العريان، الذى ابتعد خطوات قليلة، ثم قال بصوت ملئ بكل الحدة التى تمناها فى المشهد الأول له على المسرح:

- الجوازة دى مش هتتم، وأنتى . وأشار بيده على امرأته، التى كانت الدماء تغطى جزءاً كبيرا من وجهها، وربما منعها ذلك من رؤية أصابعه وهى تشير عليها:

- إن مابقتيش زى الجزمة، هاطلقك بالتلاته، وأرميك برة انت وولاد الحرام دول، وعلىّ الطلاق بالتلاته، شافعى ومالكى وأبو حنيفة، إن بنتك شافت الواد.العدل لكون مطلقك ورميكو بره كلكم.

- أكمل المشهد دون أن يثنى أحداً على أدائه. كانوا جميعًا غير مصدقين لهذا التقمص الذى قام به السيد زغلول، لممثل كبير لم يتذكروا اسمه .كما أنهم لن يحاولوا التذكر. فقط هم متأكدون أن ما قام به السيد العريان هو مشهد رأوه كثيراً، لكنهم أبداً لم يحلموا به هكذا. نزلت أنعام من جوار حسن للمرة الأخيرة ولم تر حتى سمعت كلمات ضرتها، فلم تتمالك نفسها، ووقعت على الأرض تماماً . كما حدث حين أنهى السيد زغلول العريان كلماته.

***

جعلونى مجرماً

الأمـيـرة ست الدار، الله يرحـمـهـا .مــاتت من كـام سنه بـالمرض الخبيث، بعد الشر عن الجميع، جـاء صوتها الضـعيف ليحـدد الزمن بالضبط :

ـ من خمس سنين يا نعمة، و بالأمارة سنة ٨١ .

أومات الحاجة برأسها لأختها توحة، التى كانت تجلس بجوارها على الكنبـة، وتنـظر من الشـبـاك ، وأحـسـت للحظات أنهـا لا تتـابع حـديث الحاجـة، حين سألتـها عن القصـر الموجود بجوار مبنى التليفزيون . ثــم أضافت بصوت كالسحر :

ـ عـارف الحتـه اللى مبنى فيها قصـر المرحومه . كـــانت إيه، ثم اتجهت بعينيها إلى الحاجة، وقالت كانت إيه.

قالت لها الحاجة وكأنها فى اختبار :

ـ كـانت فى الأول جنينة شركس. ثم جـه المرحـوم على بيـة حسنى وعملهـا فيلا .وطلعت عليها جنينة أبو كلبة، وبعدين جه الخواجه مش

فاكره اسمه وعملها سيما، وبعدين سافر بره بعد ما باعها لمحمد افندى الأمير .اللى عملها قصر الأميرة ست الدار.

ابتسمت فتحية، وكأنها تهنئ الحاجة على نجاحها فى الاختبار، ثم قالت، وكأنها تصارع حلماً جميلا يحاول المرور سريعاً، وهى تستمهله بصوتها العذب: ده الخواجه سمعان. السيما دى خدت منى راقات وأنا بنت، وعشت فيها أيام مع أنور .أجمل أيام حياتى ثم انتبهت قليلا، وكأنها تذكرت تفاصيل كانت غائبة عنها، وابتسمت فظهرت التجاعيد كخلفية رديئة لحلم رائع، ونظرت فى عينىّ :

ـ كان أنور يصور الفيلم ونروح نقعد مع الخواجه سمعان. كان خواجه بجد .أحمر وعيونه ملونه، وشعره ميال للبنى الغامق، تدخل مكتبه، كأنك فى فيلا . فيها كل حاجة.وكان بيحب أنور قوى .حاكم هما اتنين بس اللى كانوا بيحبوا أنور قوى .اكتر من الباشكاتب .رغم إن الباشكاتب رجل جدع قوى، وكان بيعامل أنور وكأنه صاحبه مش أبوه. تصدق وتآمن بالله يا بنى .أنا لغاية دلوقتى ماشفت واحد بيتكسف من ابنه زى الباشكاتب ده .أنا فاكرها وكأنها حصلت امبارح. بس، دخلت أنا وأنور، بعد أسبوع من جوازه من الست إحسان .الرجل قعد ساعة ونص باصص فى الأرض، ومش قادر يتكلم، وكل شويه يقوم ويجيب حاجه . شاى مره، وعصير مره، وفاكهة مره، وحاجات كتير، وكل مره يقدم الحاجه لأنور بايديه وهو باصص فى الأرض، وكأنه عمل عملِه .انت عارف، أما رجعت البيت قلت لأنور: حرام عليك كده، ماتكلمش أبوك ولا كلمة فقال لى . هو كان بيهرب منى ويعمل العصير

والشاى، ثم ضحك وقال لازم كان يستأذن منى قبل ما يتجوز .دا أنا ابنه الوحيد ثم تذكر أمه الست أحلام وقال وعلى وشه تكشيرة ،وبعدين لحق ينسى أمى، وكأن الكلمة كانت ما سكة فى ايديها بحر دموع قعد يعيط طول الليل ويتذكر تصرفات المرحومة معاه، لدرجة إنى ماقدرتش أروح فى اليوم ده .ونمت معاه .ثم سكتت ،وكأنها تريد أن تعرف ما الذى تتحدث عنه ونظرت من خلال الشباك على السماء وراحت فى عالم آخر .كانت الحاجة نعمة تتابع الكلمات الخارجة من فم اختها بشوق وشغف، كأنها تستمع إليها للمرة الأولى، وحين رأتها غائبة عن الوجود وتسبح مع السماء قالت لى:

ـ الأميرة ست الدار، دى كانت فعلا أميرة .انا ماشفتش أميرات قبل كده .لكن أنا باظن انهم بيتعاملوا كده . الطيبين منهم يعنى .كانت بنت واحد كبير قوى ،من جهة بحرى ورثت عنه غنى فاحش، لا يتعد ولا يتقدر، والله يا بنى والكلام دى من بقها هى .ويحاسبنى عليه ربنا. أنها كانت تشوف أى حاجة عاوزه تتباع، تشتريها على طول .من غير ما تفكر، ومعاها واحد على طول يقيد اللى تشتريه .اضحكك على اللى حكتهولى وهى عماله تضحك على روحها .الكلام ده قبل الحاج محمود ما يموت على طول .يعنى سنة سبعين أو تسعة وستين .كانت فى إسكندرية ، وحبت تشترى فيلا على الشط عجبتها ، وهى مش عارفة عجبتها قوى الفيلا ليه، وكانت مشدودة إليها وكأنها اتولدت فيها .قالت للسمسار .قعد يدور على صاحبها .تصدق يابنى إن الفيلا طلعت بتاعتها ،وكانت مشترياها من ١٧ سنة بعد جوازها على طول ونسيتها، حاجة كده زى اللى بتيجى فى الأفلام ،وكل ده مالوش وريث

واحـد .عملت كل حاجة علشان تخلف .سافرت ورجعت، وكانت كل سنة بتعمل عمليه، وفي الآخر دكتور من حته اسمها غمازة في الجيزة بس من ناحية جوه، قالها : ماتتعبيش نفسك وسبيها على الله ، ومن يومها .بطلت تعمل أى حاجه، غير أنها تركب العربية كل أسبوع وتلف على خلق الله ، تدى لده، ولده وتقول يا بنى .اللى بتطلعه بالشمال يرجع باليمين والله أنا بعينى كنت بشوفها وهى بترش ريحة على الفلوس، قبل ما طلعها لوجه الله ، ورغم كده ماتت بالمرض الخبيث. تقولش ربنا عاوز يزود حسناتها كمان ، وكمان ، وفي الآخر سابت كله لمحمد بيه .هو لوجه الله يستاهل اكتر من كدّه .انت عارف .فى رمضان بيعمل قاعدة كبيرة فى جنينة القصر أنا مارحتش .بس عمر ابنى حكالى عن اللى بيقدمه للناس .أشكال وأصناف ماشفهاش حد فى حياته ،وفي الآخر كل واحد وهو خارج ، ياخد اللى فيه النصيب، وقبل العيد بتلت تيام بيعمل زى الأميرة ما علمته، يخرج بالعربية ويلف على المستشفيات ويطلع الزكاه، فلوس لا تتعد ولا تحصى، وبرضه فى الآخر ربنا يعوضه عن الفلوس دى بفلوس تانيه .لكن يا ولداه هيموت برضه وعمره ما هيكون له ذكرى تحمل اسمه .حاكم الإنسان إيه غير ذكرى .أهو ربنا إداله مال قارون ، وحرمه من الخلفه .انت عارف. بقاله سنه فى السعودية وسايب القصر بتاعه مفتوح للناس الغلابة. أشوف بقى القصر ده كان إيه من الأساس . سيما بيتفرجوا فيها على المسخرة .عند ذلك انتفضت الست فتحية، وكأنها لدغها عقرب وقالت:

- هى إيه اللى مسخرة يا نعمة ؟

انتبهت الحاجة على صوت فتحية وقالت لها بصوت مرتعش:

ـ مسخرة إيه يا فتحية يا ختى .

ـ أنا عارفة مسخرة إية يانعمة اللى بتقولى عليها ؟

ـ قلت مسخرة خالص يابنى .

ـ أنا سمعاكى بودانى دى .بتقولى السيما مسخرة .

ـ لا .أنا باتكلم فى موضوع تانى خالص يا اختى .دا أنا كنت باتكلم على قصر الأميرة ست الدار، وباحكى له على اللى كانت بتعمله هى وجوزها .

ـ بس أنا سمعاكى بتقولى سيما ومسخرة .

ـ انتى يظهر كنت سرحانة، وماسمعتيش حاجه .دا انتِ سبتى الجدع اللى قاعد يكلمك ويسمعك وبصيتى من الشباك ، ورحتى لعالم تانى، زى عوايدك .

انتبهت لى وتركت وجهها يعود كما كان مبتسما قليلا . وقالت:

ـ هو انا كنت باتكلم فى ايه .

ـ كنتى بتتكلمى على الباشكاتب وكسوفه من ابنه .

ـ ايه اللى جاب سيره الباشكاتب ، يعنى إيه اللى كنت باحكيه .

ـ كنتى بتقولى انك بتدخلى مكتب الخواجه، وكان فيه اتنين بيحبوا أنور قوى، وبعدين جات سيره الباشكاتب.

- أيوه هما اتنين ، كانوا بيحبوا أنور .الخواجه سمعان، والأستاذ أحمد عبد القادر .الملحن الكبير– الله يرحمه – .الخواجه كان بيعرض أى فيلم لأنور ،وكانوا يقفوا على السيما وأنور يسلم على كل اللى داخلين. يبعت يجيب أكل واحسن شرب، وفيه في مكتبه كل حاجه. سرير بينزل كده من السقف ودورة مياه، ومطبخ كامل .انت عارف .فيلم جعلونى مجرماً بتاع الأستاذ فريد شوقى .الفيلم دى اتمثل سنه ٤٩ بعد وفاة نجيب الريحانى ، أنور كان قاعد فى البيت خمس شهور بعد وفاة الأستاذ نجيب ، حزين عليه قوى ، وبعدين جاله الأستاذ الزرقانى، الله يرحمه . ورجعه فى فيلم جعلونى مجرماً .أنور كان قايم بدور صاحب الأستاذ سراج منير .وكان دايما معاه فى الفيلا والكباريه، يعنى كان عامل دور حلو قوى .يمكن يكون دا أكبر دور له والبركة فى الأستاذ الزرقانى .العرض الأول كان فى أواخر سنه ٥٠ ، وأنور عزم فريد على الافتتاح فى سيما الأزهار، علشان خاطر الخواجه سمعان ، ووقف أنور بجوار فريد شوقى .وفضلوا يسلموا على الناس، من الساعة ٦ المغرب لغاية الساعة ١٠ .الخواجه يومها احتفل بأنور احتفال ولا فى الخيال. بس يا خساره ، بعدها بكذا شهر، الخواجه ابتدا يتأذى من الجماعة بتوع الإخوان .حاكم هو كان يهودى .بس يهودى مصرى، والله كان بيحب أنور قوى، وبيحب مصر كمان، وهو مسافر بعد ما باع السيما لمحمد أفندى الأمير .كان بيعيط زى النسوان، وهو بيودع أنور . هو سافر من هنا ، وبعديها بخمس ست سنين أنور مات ، الله يغفر له ويسامحه بقه .

* * *

أتذكرون اللهفة والشوق ، الذى ظل السيد زغلول العريان ينتظر بهم تحقيق حلمه ، على مدار اثنين وأربعين عاماً . هذه الحلم جعله طيلة حياته لا يأخذ قراراً واحداً لمدة خمس دقائق ، فالسيد العريان لا يأمن مكر الآخرين ، كما أن السيد زغلول مصاب دائما «بمحاسن الصدف» ، وهنا تحدث دائما المفارقات ، التى أوقعته فيها الحياة منذ أن اختار له الأب اسم «زغلول العريان » ، وهو «أبوالريش» والمكر الذى تحدثنا عنه ليس صفة سيئة على الإطلاق، كما أنها على نفس المستوى ليست صفة حسنة ، وإليكم هذا المشهد من حياة الأستاذ سعيد، التى تشبه حياة العريان فى بداية الخمسينيات .

مشهد أول

الزوجة التى سوف نطلق عليها الأستاذه سين تقف بقميص النوم الستان الاسود ، فقط وشعرها سائب.

(يمكن للرقابة أن تضيف شيئاً هذا جائز)

الزوج السيد العريان يدخل إلى حجرة النوم بالبيجامة، وعلى رأسه فوطة لينشف بها رأسه ، يرمى الزوج بالفوطة على طرف السرير ويتجه إلى التسريحة حيث يضع اسبريه رخيصاً ويسرح شعره – يبدو من تصميم المشهد أن هناك اتفاقا مسبقا بإقامة طقس ممارسة الحب .

س تجلس على طرف السرير، ربما بدت متحفزة .العريان لا ينتبه إلى ذلك .س تقول: الخمسين جنيه اللى عند الست اختك من الشهر اللى قبل اللى فات ،ياترى أخبارها إيه .العريان يرد بتلقائية، وهو يتصنع التهاب بشرته من الاسبريه :

ـ إن شاء الله هتجبهم آخر الشهر .

س: يعنى أفهم من كده، إنك كلمتها، وخت المعاد ده منها .

العريان: ابدا بس متهيأ لى انها هتجبهم .

س: متهيئالك .ولا كلمتها ؟

العريان : نسيت، قصدى هاكلمها، ومش هانسى .

س: طيب والنبى ابقى افتكر، احسن ما يحصل، زى المرة اللى فاتت.

فيتجه إليها العريان ويقول :حاضر يا ست الكل يا مراتى .ثم يضع يده على ظهرها.

س تقول دون أدنى التفاته إلى يده .التى أخذت الطريق فى الهبوط والصعود على ظهرها : لسه نار المائة جنيه مابردتش، وبعدين دول فلوس الأولاد .

السيد العريان يسحب يديه ،وينظر إلى الاتجاه المعاكس لوجه زوجته، هو يبحث في الذاكرة عن المبررات التى قالها قبل ذلك ، وأقنع بها زوجته ،والدليل على ذلك . هو إعطاؤها لاخته الخمسين جنيها من مرتب الشهر الفائت .اثناء ذلك تنسحب يد الزوجة، لتمسك بالروب الأزرق الموضوع على طرف السرير من الجهة الأخرى .السيد زغلول يتذكر بعض الأعذار التى قالها لزوجته ، والتفت إليها .حين ذلك .تكون قد ارتدت الروب، ولفت شعرها بيديها وفى عينيها نظرات غضب .ويظهر على وجه العريان هول المفاجأة من تغير شكل الزوجة، ولا يستطيع الحركة، أو الكلام وينتهى المشهد والسؤال الآن:

من السبب فى إنهاء الليلة بهذه الصورة المأساوية: الزوج أم الزوجة؟

* * *

العود أحمد .ترددت داخلى وأنا فى الطريق إلى بيت جيهان .أى أحمد فى هذا العود .ما الذى يشدنى إلى منطقة خطرة . زوجتى بقرون استشعارها الكثيرة وحاستها التاسعة التى لم تخطئ معى أبدا، لابد ستعرف . كما أننى لن أستطيع أن أكمل ما بدأته مع جى جى، وخلال الأسابيع الماضية ، منذ تركتها وعيناها مليئتان بسؤال عن كيفية انهاء تلك العلاقة التى بدأت منذ اكثر من سنة .

كنت بالفعل خلالها مشغولاً بجيهان، وشىء ما بدأ على حين غفلة منها بيننا .تقابلنا خمس مرات خارج البيت ، كنت خلالها أقوم ببعض المصالح الخاصة بالعائلة، ورغما عنا نحن الاثنين .أو بالتحديد .رغما عنها هى .بدأت بيننا لغة مشتركة، لم ينتبه إليها أحد .فتحت جيهان باب الشقة، سلمت عليها :كان يبدو عليها القلق ، كانت الحاجة تجلس كعادتها على الكنبة بجوار الشباك المطل على الشارع، وأمامها ترابيزة تضع عليها سبرتاية نحاس وثلاثة فناجين مرسوم عليها روميو

وجـوليت، وكـوبـا مليـئـا بالماء المثلج .سلمت عليـهـا وجلست جـوارها، انسحبت جيهان وتركتنى .كنت قد أتممت كل التوقيعات الخاصة بسفر الحاجة إلى السعودية لأداء فريضة الحج ،وما أن شاهدته حين اخرجته من جيب الجاكت ،حتى جذبت يدى معه وقبلتنى فوق رأسى، ثم ارتفع صوت زغرودة صغيرة ومبحوحة من فمها .دخلت جيهان مسرعة ومن خلفها «الجرم الصغير» قالت الحاجة لأختها فتحية:

- عقبالك السنة الجايه يا فتحيه .يا ما كان نفسى نطلع مع بعض، احنا الاثنين فى القرعة، بس النصيب وربك لما يريد .

اتجه «الجرم الصغير» إلى حضن الحاجة، وظل ولمدة دقائق يبكيان مـعـا .ثم خرجت من الحجرة ،بعد أن قبلت يدى، بطريقتها التى لم استطع منذ اليوم الأول، ان اعترض عليها .قالت جيهان بصوت يملؤه الدلع:

والله يا حاجـة أنا كنت ناسيه حكاية القرعة دى .دانا فكرت أمـا سمعت زغرودتك انك وافقتى على العريس .ثم اتجهت بعينيها لتقبض على وجهى، الذى أظن انه أصبح بالألوان الطبيعية كما يقولون عادةً. فلم اجد مفراً من أن انسحب بعينىّ بعيدا، أحست الحاجة بشىء ما وقالت لها:

- عريس مين يا جى جى، الاستاذ سعيد متجوز، وعنده بنت ربنا يخليها له .ضحكت جيهان ضحكة المنتصر .فى حرب الأعصاب التى لا بد كانت تلعبها معى .أو تمارسها على، ثم قالت .

- لا يا امى، أ نا مش قصدى الأستاذ سعيد . هو احنا قد المقام، أنا قصدى عمى عزت أبو ركبة، قابلنى امبارح وقال لى شورى الحاجة فى موضوع الجواز ، هوأنا ماقلتلكيش .

كادت الحاجة تقع على الأرض وهى تحاول الإمساك بفردة الشبشب ، فامسكت بها وعدلت جسدها الثقيل ، وما إن استقامت على الكنبة حتى قالت لجيهان :نولينى فردة الشبشب دى .ضحكت جيهان وقالت لامها :مش عريس ده، ولا مش عريس .

- روحى جتك عرسة اما تاكل مصارينك ، مابقاش إلا أبو ركبة كمان .امشى اعملى شاى للأستاذ سعيد .ضحكت بملء فمها وهى تنظر فى عينى وتقول :البت قال موافقة على العرسة أبو ركبة .الله يجازيكى يا جيهان .ضحكتينى .انت عارف يا سعيد يابنى اللى اسمه عزت أبو ركبه ده .بتاع كده مفعوص ،ومعصنم وشكله كده لامؤاخذة، ما يسواش فى سوق الرجاله بصله .ورغم كده اتجوز كتير .اللى يقول ماتين مرة، واللى يقول تلتميت مرة ، وهو نفسه بيحلف أنهم مايه وتسعين مرة . حاكم عزت أبو ركبة كان شغال فى وزارة الأشغال الصبح، وبالليل شغال طبال فى فرق كتيره ، من بتوع شارع محمد على وعماد الدين، وبيتهم كان قدامنا على طول .فى عشش الترجمان، وكل شهر يجيب واحدة، وأمه الصبح تقول :دى مراته ، وكلهم كانوا من بتوع هشك بشك . انت عارف ،نجوى شعبان، المخفى عزت ، قاعد متجوزها خمس تشهر، ويمكن تكون دى أكبر واحدة عمرت معاه، حاكم هو

مـواليـد أبوالعـلا زينا، بس إيه اللى فيـه، والله يا بنى مـا أنا عـارفـة. أضحكك .فى يوم قبل جواز توحه من أنور بشهور، لقينا الحكومة بتدور على أبو ركـبـه .طبعا الحتـه كلها طلع فيها إن أبو ركبه خطف الأميرة فـوزية واتجـوزها .الحكاية دى، طلعها الشهيد حسن العدل ، اللى مات بعد كده فى الحـرب ، وهو كان من شلة أبو ركبه، هو وأنور، وعبد الله المأمـور، والواد مـحـمـد جـورج، وتانى يوم عـبـد الله جرى فى الشـارع وقال: إن الملك بذاته جاى ياخد الأميرة من عند أبو ركبه .حاكم الثوره كـان فاضل لها شـهور قليلة وتقوم .شويه وشـارع أبو العلا ده .كـنـت ترش الملح مـاينزلش . ناس إيه، وفى الآخـر طلع الواد الصايع أبو ركبه اتجـوز بنت مـأمـور قـسم فى إمـبـابة، وعلمـهـا الرقص ، ونزلت مـعـاه الأفراح، عزت خد علقه «مخدهاش حمار فى مطلع» .وبعديها وحياتك بأسبوعين ، كـان مـتـجـوز واحـدة غيرها، وعلى كده طـول العمر وفى الآخر عاوز يتـجوز جى جى، ياخى جاته جنازة. هو بيضحك حاكم هو عرفنا كـويس ،واحنا ولاد حته واحدة، ويامـه جه البيت عندنا قبل جواز توحـه من انور ، وامـى كـانت صـاحـبـة أمه وأول مـاتشوفه تقوله: آخــر جـوازاتك إيه. دخلت جيهـان بعد أن أنهت الحاجـة سرد الوقائـع الغريبـة لأبى ركبة، الذى أظن أنه من واقع خيال الحاجة ،أوخيال أبوالعلا كلها .كانت مازالت تحمل فى عينيها نظرة المنتصر، ولذلك عاجلتها بطعنة لم تخطئ مكانها فوق القلب وقلت لها:

ـ مبروك يا استاذة جيهان، الحاجة وافقت على السيد أبوركبة .

- ثم غمزت بعينى للحاجة، التى لم تمتلك نفسها من الضحك، وقفت جيهان مذعورة ونظرت فى عينىّ وقالت:

- على الأقل هو اتقدم، الدور والباقى على اللى غاوى يضحك بس .

ثم خرجت مسرعة .كنت كمن أمسك بيديه خط كهرباء ضغط عالى ولا يستطيع الفكاك منه .أخرجتنى الحاجة من هذه الحالة بسؤالها المرعب:

- هى قصدها مين يا سعيد يا بنى باللى اتقدم واللى بيضحك .البت دى بقالها شهرين تلاته أحوالها متغيرة، ومش عارفه مالها .

فى الطريق .كنت أتساءل بينى وبين نفسى: ترى هل تنتظر جيهان أن اتقدم لها .ربما أكون معجباً بها، ولكن لن أخرج من سجن الزواج إلى سجن آخر .حتى لو كان جيهان .ثم رحت أفكر فى عزت أبو ركبه، ذلك الرجل الاسطورى ،الذى تزوج مائة وتسعين مرة، وكيف استطاع خلال حياته أن يدخل قفص الزوجية بمحض إرادته كل هذه المرات؟ وكيف أفر أنا من هذا القفص، كفرار السليم من الجرب بفضل زوجة واحدة؟ ضحكت وأنا أقول بصوت سمعه الرجل الجالس جوارى فى مترو الأنفاق:

- بس والله رجل بجد .رجل يشرف .هى دى الرجاله وإلا فلا، ١٩٠ مرة ، يا بلاش.

* * *

كانت تمشى جوارى بخطوات هادئة ،وملامح وجهها تتغير كل بضع خطوات ، أقنعتها جيهان التى تمسك بيدها أن ترتدى الجلباب الأسود الطويل ، وأن تضع على رأسها الطرحة الزرقاء ذات الطاووس الأسود، التى راحت تنسحب عن رأسها كل فترة .فتظهر من تحتها بعض الشعيرات البيضاء .

- والنبى يا خالتى اعملى معروف ،والبسى الجلابية السودة، علشان خاطرى وخاطر الاستاذ سعيد .

كنت قد سمعت هذه الكلمات وأنا جالس بجوار الحاجة فوق الكنبة وفى يدى فنجان القهوة، لتى يراقص روميو على حافتها الخارجية جـــوليت. وما إن انتهت كلمات جيهان حتى دخل «الجرم الصغير» مرتدياً جيبة فوق الركبه، وعليها بلوزه حمراء، وعلى وجهها بعض المكياج الفاقع اللون، الموضوع بجهل مطبق بالتطورات السريعة فى

كيفية وضعه خلال السنوات الماضية، ورغم ذلك ،كانت تبدو جميلة، ولكنه جمال منقوص، أو على الأصح ، جمال قديم ينتمى إلى زمن بعيد.

- والنبى تقول الحقيقة يا سعيد يا بنى .كده حلو ولا الجلابية السودة.

- انتى لو لبستى خيش، هتبقى برضة حلوة يا حاجة.

- شوفتى يا بنت رأى الرجاله.

- الله يسامحك يا توحة، ويستر أصلك .

خرجت كلمات الحاجة مليئة بعتاب ظاهر، ومحبة كافية .كانت المرة الأولى التى أرى فيها فتحية بهذا الحضور ، وعيناها مليئتان بأحلام وسعادة غامرة .ربما أرادت أن تكمل كل الصورة فى مخيلتها ، ومن أجل ذلك خرجت الكلمات التى لم تكن أبدا قبيحة من فمها.

- أنت هتتصورى صور للحج يا فتحية، ولازم تكون حشمة .

- انسحبت الطرحة من فوق رأس فتحية، من كثرة التفاتها على البيوت فى كل الاتجاهات، كانت كمن يحاول تذكر الأشياء، كما كانت عليها فى الأيام الأولى، وأيضا كمن يمسك بمقدار التغير الواضح فى نفس الوقت .أوقفتها يد جيهان وعدلت لها الطرحة وهى مازلت تنظر على البيوت .أشارت على نافذة مغلقة وقالت :دى شقة الاستاذ احمد عبد القادر- الله يرحمه.

- ثم أضافت بصوت هامس:

ـ يا ترى يا ست إحسان انتى عايشه ولا متى، انت كمان .ربنا يرحم الجميع، ثم ثنت رموشها على ماء فى العين كان ينتظر إشارة المرور ليبدأ فى النزول ، سريعا فى البداية، ثم متباعدا .بعد خطوات قليلة غيرت فيها اتجاه وجهها وقالت :

ـ دى جامع السلطان أبوالعلا، المرحوم المنسترلى بيه، كان يقعد فيه من المغرب، لغاية العشا.

ثم غيرت اتجاه نظرتها مرة واحدة وأشارت على مقهى بجوار الجامع وقالت :دى قهوة الشيخ على شركس، واللى جنبها بتاع محمد الفلاح .أنور كان بييحى يقعد عليها، وعادت الدموع للنزول مرة أخرى، وتحركت بقدميها حركات هادئة وضعيفة .كانت كمن يحاول الإمساك بشخص ما .لم يكن أبداً موجوداً.

ـ والله وانتصفتى يا أنعام ،بسم الله ماشاء الله ، زمنها دلوقتى هى اللى مكوشه على أملاك محمد الجزار .الله يجحمه .حاكم ده كان السبب فى موت أبويا، المرحوم سيد .أبويا دا .كان راجل بجد ، ماحدش قدر يضحك عليه أبدا، وكان يشرب المحيط ، لكنه عمره ما اتسطل والجزار الله لا يرحمه، هو اللى قال لأبو حسين الصعيدى على علاقة أبويا بالست بتاعته، وكل ده بسببى .حاكم هو كان عاوز يتجوزنى. لكن انا مارضتش .دا كان أكبر من أبويا، وكمان أنا كنت باحب الاستاذ انور المنسترلى .كانت أصوات العربات وتغير اتجاه وجهها الدائم يضيع منى الكلمات الخارجة من فمها، وكنت اريد التعرف اكثر على حكايتها فقلت لها:

ـ والنبى يا حاجه، أنا عاوز اسمع الحكاية دى، فإيه رأيك بعد اما نخلص مشاويرنا، نقعد شوية فى أى حته هاديه وتحكى لى.

ـ حكايه إيه ؟ هو أنا كنت باتكلم فى إيه؟

كانت بالفعل أثناء الكلام لا توجه الحديث إلى أحد .كانت كمن يحدث نفسه، ابتسمت جيهان ابتسامة تشى بأنها تعرف سبب هذه العزومة، وكنت بالفعل قد خططت لذلك فى المساء ،حين اتفقت معهم على الخروج، ولكنى حين طلبت منها الجلوس كنت بالفعل أيضا أريد أن اسمع قصة أبيها مع الجزار، ولكنى ابتسمت ابتسامة مشابهة لابتسامة جيهان ،وإن كانت أشد إيحاء بما تولد بيننا، أشارت بيديها علّى سيما فؤاد وقالت .

ـ أنت عارف الأرض دى كانت إيه قبل ما تبقى سيما ،ولم تنتظر الإجابة من أحد وقالت:

ـ دى عربخانة خيل الملك ، وبعد كده بقت عربخانه حناطير، وبعدين بقت سيما فؤاد .أنور كان يقعد قدامها وحاطط رجل على رجل بعدما اتعرض ليه فيلم الاسطى حسن بتاع فريد شوقى ، ثم نظرت إلى نقطة فى الأرض وابتسمت قبل أن تسكب دموعها الغزيرة وهى تقول: ده بيت أنور.

* * *

مشهد آخر للسيد العريان، فكر فيه الأستاذ سعيد حين كان أمام سرير الحاجة نعمة، وعرضت عليه الزواج من جيهان، وتمنى للحظات أن يتزوجها ولكن صورة زوجته أعادته إلى حالته .السيد زغلول العريان أبو الريش فى حجرة لا نعرف مركزها، ولا نعرف عنها شيئا، ومعه شاب يبلغ من العمر اثنين وثلاثين عاما ، يحكى له هذه الحكاية ويقول:

ـ قصة سمعتها أو قرأتها، مش فاكر يا سيد زغلول ، وعلشان أدخلك فى الموضوع على طول .الحكاية إنه فيه ملك شاف بت حلوة عجبته، طلب يتجوزها .البت دى كانت بتحب ولد من سنها، ومن الحته بتاعتها .الملك ماكنش يعرف طبعا .المهم يا عريان أفندى الملك اتجوز البت وخدها معاه القصر . الولد اتجن أما عرف ،ولكن ما باليد حيلة . راح على القصر ، وقعد سبع تيام يلف ويدور حولين القصر، والبت. قصدى .الملكة، شافته وبعت ل ه الوصيفة بتاعتها، وقعدوا يعيطوا .أيام كتيرة ،لغاية ما ربنا سهل واشتغل فى القصر .الحب زاد قوى بينهم،

والولد كان بيموت فى اليوم ألف مرة، والملك ولا هو دريان ، المهم. فيه بت حلوة قوى وكانت شغالة حاجة كده زى محظية الملك .البت الحلوة ابتدأت تحب الولد .الولد حكى لها على حبه للملكة .البنت الحلوة لأنها بتحب الولد ، صممت أنها تنجده وتشفيه من حب الملكة، وشويه شويه قدرت تكسب عطفه .الواد ابتدا يميل عليها ، ويسمع منها .هب الواد فعلا ابتدا يعمل مقارنة بين الملكه وبينها، لقى كفة البت الحلوة طبت .الملكة حست بالتغيير وفضلت تسأل وتتقصى، لغاية ما عرفت الحكاية كلهـــا .الملك طلع يصطاد تلت تيام، الملكة اتعذبت فيهم بحريتها، على حبيبها الضائع .طبعا الغيرة جننتها، وكان نفسها تموت البت الحلوة .المهم .الملك رجع ، وعرف حكاية الحب اللى انتشرت فى القصر بين الولد اللى شغله عنده، ومحظية الملك بالصدفة .الملك قرر يعمل حاجة .جاب حكيم وسأله، وفى الآخر جاب الواد والبت وقال لهم: إنه هيعمل مسابقة بكره فى القصر وهيحط البنت فى حجرة، وهيحط أسد فى حجرة تانية، وقال للولد :انت عليك تختار حجرة من الاثنين. إذا طلعت المحظيـة ، هاجوزها لك على طول ، واذا طلع الأسد لا بد يأكلك .الملكة طبعا كانت حاضرة الاتفاق .الولد بص لها من تحت لتحت، قامت غامزة له أن يوافق .الولد وافق، وباالليل قابل الملكة اللى قالتله، أنه عليك إنك تبص ناحيتى، أن غمزت بعينى الشمال، تختار الأودة اللى على الشمال، واليمين كذلك ،واتفق الولد مع الملكة على كده، وفى الصبح أعد الاحتفال على أحسن ما يكون فى ساحة القصر. وحضرها كل أهالى المملكة، وقعد الملك والملكة فى الترسينة، وشاورت

له إن الولد يدخل .ودخل الواد وبص ناحية الملكة ، اللى غمزت فعلا بعينها للولد على حجرة من الحجرتين وعند كده وانتهت الحكاية، اللى سمعتها، يجوز. قريتها يجوز .لكن الأكيد المؤكد أنها خلصت من غير ما أعرف، الملكة شاورت على أودة الأسد ولا أودة البنت فتفتكر يا عريان افندى .بما أنك خبير فى معاملة الستات هى شاورت على إيه بالضبط؟

* * *

هى اسـمـهـا تالاندا زوفْ. إيطاليـة فعلا، أنا عـارفـهـا من أكثـر من خمسة وعشرين سنة، وهى اللى ساعدتنى فى ولادة على و رقية .كـنـا لسه واخدين الدكـان الأولانى ،وحـالتنا على قدها والحـاج مـحمود كـان عارف انها كـانت شغاله فى مستشفى فاروق ،اللى فى بداية شارع أبو العلا، والست أم حسنى بهدلتنى قوى، فى ولادة عمر .علشان كده راح جايبها، وبسم الله ما شاء الله .أحسن من ميت دكتور ، شافتنى وقالت: لسة قدامك تلات ساعات، ورحمة الحاج محمود، التلات ساعات جم، كنت ولدت عـثـمـان .سابتنى وقالت هاروح اشيل الترابيزة وارجع لك. كانت بتتكلم بطريقة غريبة .أنا كنت شفتها صدفة مرة أو مرتين .حاكم أنا ماكنتش باطلع برة لغاية الشارع .أنا كنت يا إما فى الدكان، يا فى البيت ، هى نزلت من هنا والحاج مـحـمـود طلع شايل فى إيده عـمـر، سألنى عن نزول الست توتة، أنـا ماكنتش أعرف إن اسمها توته .قـولت له على اللى قلتـه، فـقـال إنهـا ممرضـة شاطـرة، بس ظروفـهـا ملطشـة

واستأذن فى النزول لعدم وجود حد مكانه فى الدكان .الست دميانة، مرات الاسطى رياض ، خدت منه عمر ودخلت ،سخنت المية وجهزت كل حاجة على وصول الست توتة .اللى ماتأخرتش أكثر من ساعة ودخلت عليّ وهى لابسة بالطو أبيض ، وفى إيديها شنطة حديد .أنا استغربت، فقالت لى إنها دخلت مستشفى الجلاء اللى كانت شغاله فيها لغاية فترة قريبة وجابت البلطو والشنطة من واحدة زميلتها وقعدت جنبى تقول لى :خدى نفس طويل، وشوية خدى نفس هادى .فسألتها أنتى منين؟ قالت إنها من إيطاليا، حته كدة اسمها نابوى، ولا نابولن .مش عارفة، وحكت لى على كل حاجة ،إنها جت مصر تدور على ابنها اللى كان عمره ١٨ سنة ، وماتعرفش إن كان مات فى الحرب ولا لأ .تصدق، إن أنه مالوش أب ، يعنى مكتوب باسم أبو توتة، وهى ماتجوزتش خالص فى إيطاليا، دى عاشت مع واحد شهر وحبلت منه بابنها ، اللى كتبته فى شهادة الميلاد باسم أبوها .أنا كنت باسمع منها ومش عارفة بالضبط ، هى مسيحية، ولا يهودية ولا ملتها إيه، وبعدين دميانه فهمتنى كل حاجة وقالت انها مسيحية، بس على ملة تانية زى كده المسلمين، اللى على مذهب .وبعد ما ولدتنى عثمان، ولادتنى رقية ،وبعد كده بقينا أصحاب ساعات تمر بعد المغرب وهى معدية رايحة بيتها ،أنا عمرى ما سألتها عن بيتها وهى عمرها ما قالت هى ساكنة فين .بس الأكيد أنها ساكنة الناحية التانية، لأنها كانت بتعدى كوبرى أبوالعلا. نقعد نتساهر شوية ، تحكى لى عن ابنها وعن أبوها وحياتها وعرفت منها إنها اتجوزت عزت أبوركبة ، صاحب أنور وبرصة

اشتغلت فى السيما . حاكم أبو ركبة كان طبال بريمو، عيبه إنه كان بتاع نســـوان . بس الشهاده لله كان بالحلال وقالت لى أنها حبته قوى، وقعدت معاه فى بيتهم شهرين .وبعدين طلبت الطلاق علشان أمه كانت نكدية قوى .أنت عارف ،هى علمتنى أعمل مكرونة باللحمة المفرومة وأعمل سلطة بالزبادى، وحاجات كتير .انت عارف اللى حصل لها فى الآخر . هى كانت قاعدة على الترابيزة زى العادة، وهب جه واحد شبه ابنها الخالق الناطق ، وكان برضه اجنبى .مسكت فيه وقعدت تبوس فيه، وتنادى على الناس وقالت كل حكايتها للناس اللى اتلموا حواليها وماحدش قدر يفهمها خالص .أنت عارف لو واحد بس عنده عقل ، من اللى واقفين يتفرجوا عليها .كان قال لها إن ابنها لو كان عايش كان بقى عنده خمسين سنة على الأقل، كانت سابت الواد اللى شبه ابنها وماكنوش ودوها مستشفى المجانين، لكن تقول إيه، قسمه ونصيب ، والمكتوب على الجبين لازم تشوفة العين.

* * *

تلفتت حولها كأنها تتذكر المكان وقالت:

- انت تعرف الحته دى كانت إيه؟

- دى نقابة الصحفيين .

- قبل ما تكون نقابة، كانت إيه؟

ولم تنتظر الإجابة وأضافت «كل الحته اللى انت شايفها دى، كانت نادى فاروق، اللى هو الزمالك دلوقتى .ثم سكتت وسرحت وكأنها تطمئن على ذكرياتها .كنا قد انتهينا من المشاوير ودخلنا إلى النقابة نرتاح قليلا .جيهان كانت تعرف لماذا دخلنا فجلست أمامى مباشرة، وتركت «الجرم الصغير» يجلس بيننا .ما إن جاء الجرسون، حتى طلبت فنجانا من القهوة واثنين من عصير» المنجو» ورحت أتابع عينى «الجرم الصغير» التى لا تستقران على شئ ، وأتحين الفرصة لأحدق فى عينى جيهان .كانت النظرة دائما ما تستقر فى ننى العين .كما خططت - حتى

أختـزل تلك المسافة الدائمة .هذه المسـافـة التى تأخـذ منـى الأيام دون الوصول إلى الهدف المنشود، ألا وهو الإيقاع بجيهان .

- إيه يا خالتى، أنت لسه بتفكرى فى المصوراتى؟

-مـا تفكرنيش يا جـيـهان اعـملى معـروف ابن... ثم سكتت برهة وقالت:

-الله يخـزيك يا شـيطان .أربـع مـرات يقـول إنـى غـمـضت ليـه، وعامل فيها أحمد حشمت مجنون كامليا، الله يسامحه بقى .

ما إن نطقت الاسم، حتى راحت تهز رأسها هزات متواصلة لا تعنى شيـئـا .كنت قد شاهدت هذه الحركة منها اكثر من مرة، وأعرف إنـها خلالـها تكون شبـة غائبة عن الوعى، ولـذلك أمسكت بكوب العصـير ووضـعتـه فى يديهـا .خفت الحـركة قليلا ونظرت فـى عينى وأمسكت بالكوب جيداً وبنظرة خاطفة على وجه جيهان تأكد لى إنها خائفة على خالتـها، فلم أجـد مـفرا من أن أطبطب على يديها، التى ارتجـفت كـثيرا بمجـرد مـا لمستـهـا ، وسحبتـها من تحت يدى، التى راحت تنسـحب فى ذل واضـح .كنت خـلاله .أبحث عن مكان أدفس فيه عينى بعيداً عن عينيـها اللتين بدتا كـعين قط مفـترس، أوعين غزال شارد، لا أعـرف أيهما الصواب .انتبهت الحاجة لعينى جيهان ووجهها المتغير فقالت لها:

ـ مالك ؟

ـ مفيش يا خالتى، يالا نروح .

ـ قبل ما احكى للاستاذ عن قصة محمد الجزار .ثم اتجهت برأسها إلىّ وحاولت أن تمسك بعينى الزائغتين وقالت:

ـ مش احنا قاعدين هنا علشان كده، ولا انا تايه .قلت:

ـ بالضبط يا حاجة ،بس مش عارف الآنسة جيهان مالها، يمكن أكون عملت حاجة وزعلتها منى .

خرجت الكلمات من فمى ضعيفة ومتهرئة، حتى ظننت أننى قلتها لنفسى . لم تعلق جيهان على الكلمات ،ومضت فترة من الوقت كنت فيها أنظر إلى الأشجار وأحاول اختلاس بعض اللفتات إلى وجهها ، الذى عاد رويدا إلى طبيعته .

ـ سيد محمود اللى هو أبويا .الله يرحمه ، كان «لامؤاخذة» بتاع «نسوان» و«حشيش» .هكذا بدأت الحاجة فتحية كلامها، فاخرجتنى من أفكارى التى كنت أحاول فيها البحث عن أى كلام يعيد جيهان إلى حالتها، ويجعل الست فتحية تبدأ فى الحكى، وما إن قالت جملتها حتى ضحكت جيهان ،أو على وجه الدقة، ابتسمت ابتسامة مليئة بالخجل.

ـ لكن لوجه الله يا أستاذ، طول عمره ما ارتمى على واحده.قصدى ما رمى جتته على واحده . بس كان يحط الواحدة فى دماغه لازم يجيبها .حتى لو كانت الشريفه خضره، يعنى بتاع تخطيط وحاجات زى كـــده . ويعدين أبو العلا طول عمرها مشهورة بنسوانها العدالة، ولامؤاخذة اللى مشيهم بطال .الاتنين ممكن تلاقيهم فى شقة واحدة. وهو كان عليه نظرة ماتخيبش .على فكرة الكلام ده أنا كنت عارفه منه

طشاش .لكن أنور هو اللى عرفنى كل حاجه عنه .حاكم أنور كان له فى الحشيش .بس الحاج محمد الجزار .والله يا بنى لا حاج ولا حاجه، بس أهو صيت وخلاص .حاج على حمارةه عرجه، هو واللى جابوه. كان عاوز يتجوزنى وأبويا كان مبسوط بالجوازه دى .لكن أنا قلت لأ أبويا فكر إنى بادلع، راح اتفق مع الجزار وخد منه ميه وخمسين جنيه مهر .المهم أنا صممت على رأيى وقلت لأمى إنى هولع فى نفسى لو غصبتوا علىّ، وفى الآخر أبويا قال للجزار على حكاية رفضى .وطلب مهله علشان يقنعنى .الجزار قاله :

ـ قدمك شهرين ، للجوازة للفلوس .طبعا أبويا كان طير القرشين بدرى، بدرى، الجزار هدد أبويا، لكن أبويا ماحطش فى دماغه حكاية التهديد دى .وقاله:

ـ أعلى ما فى خيلك اركبه .

ـ طبعا الجزار ماكنش يقدر يعمل حاجة مع أبويا، لأنه عارفه كويس، ولولا الظروف كان الجزار ده شغال عند أبويا .الجزار ما لقاش حاجه قدامه غير إنه يوصل كلام لأبو حسين الصعيدى عن علاقة أبويا بالست بتاعته .وسمعت إن أبو حسين جاب اثنين قرايبه من البلد، واستنوا لغاية أبويا ما طلع عندها، وموتوه .لكن الحقيقة فين .الله أعلم. أنا كل اللى فاكراه كويس، إن الفجر لقينا اتنين شايلين أبويا وداخلين بيه البيت عندنا .احنا طبعاً فكرنا إنه مسطول ولا حاجه .على الساعة عشرةه كده، سمعت صوات أمى وأمينة ولقيناه ميت وماكنش فيه

حاجه خالص، غير دماغه مورمه كده من عند قفاه .لكن لا ضـرب ولا حاجة خالص، وكل الكلام اللى طلع ده كدب .وأمى كدبته ، لكن اللى خلا الكلام يكتر، هو أن أبو حسين ومراته سابو أبوالعلا كلها، وما فضلش منهم غير الواد حسين زميل أنور، وده كان بتاع جماعات اللى بتحارب الانجليز، وما كنش بييجى البيت إلا كل حين ومين.

* * *

- لا تنس غداً يا أستاذ.

كنت مستغرقًا فى فكرة إقامة علاقة بينى وبينها هى. جيهان. ابنة الحاجه نعمه والتى قالت عنها:

- دى الخالق الناطق توحه وهى صغيره . بس توحه موديل جديد، ناصحه وعارفه سكتها، مش زى الخيبة أختى، اللى راحت اتجوزت أنور هنصور.

- فيه إيه بكره منسهوش يا أستاذه جيهان.

- أنت الأستاذ يا أستاذ .بس اللى واخد عقلك .بكره فيلم غزل البنات، بتاع جوز خالتى وهى عاوزاك تشوفه معها.

كنت قد نسيت هذا الموضوع، وكل ما كنت أفكر فيه خلال الاستماع إلى كلمات الحاجه نعمه، ودعوتها لى بالصحة والتعليقات البعيدة والمختصرة من أختها توحة، كيف أدفع بجيهان ، التى تشبه إلى حد

بعيد ،إيمان،تلك البنت التى أحببتها فى بداية حياتى، وظلت تشكل صفة الجمال، بالنسبة للآخريات اللائى أقع فريسة لحبهن .بعد زواج إيمان من ابن عمها ضابط الشرطة .فكرت كثيراً وأنا انظر فى عين جيهان مباشرة .كما خططت .منذ مشاهدتها للمرة الأولى، وقلت بصوت هامس:

- اللي واخد عقلى، هاجيله بكره علشان أشوف الفيلم معاه.

ثنت رموشها على حياء بان لى كقبلة تمنحها لى فزلزلنى .ثم رجعت بجسدها خطوتين للوراء، وأعطتنى ظهرها .كانت ترتدى الجلباب الأسود ذى الصدر المشغول على هيئة طاووس ،يحمل ألوانا كثيرة، فزاد تزلزلى .انسحبت ،بعد أن ألقيت إليهم بالتحية .حين فتحت لى الباب فى مساء اليوم الثانى كان واضحاً فى عينيها أنها ظلت كثيراً تفكر فى كلامى لها .ربما كان ذلك هو ما تخيلته بمجرد أن رأيت شعرها السائب، ومسحة الروج الخفيف على شفتيها الرائعتين .أخذت مكانى الذى لم يتغير أبداً، منذ دخلت عليهم أول مرة، حين كنت فى زيارة لأختي ، التى تزوجت فى الشقة التى أمامهم مباشرة وسمعت صوت الصريخ والبكاء ،فلم استطع الجلوس وخرجت .لأجد الحاجة نعمة تجلس على الكنبه فى مواجهة باب الشقة المفتوح .فكدت أعود مرة أخرى إلى شقة أختى ،التى كانت تقف خلفى تماما وما إن رأتها الحاجة حتى قالت لها:

ـ تعالى يا أم شريف .ثم نظرت إلى مباشرة وقالت:

ـ اتفضل يا أستاذ.

امسكت ماجدة بيدى ودخلنا إلى الشقة وقالت لها:

ـ الأستاذ سعيد أخويا، صحفى اتخض لما سمع الزعيق، ففكر فيه حاجة .قالت الحاجة موجهة عينيها إلىّ:

ـ لا مؤاخذة يا بنى ، اتفضل .أهلاً وسهلاً .يا مرحبه .ماتأخذناش. ثم اتجهت إلى أختى وأضافت:

ـ الست أم شريف عارفة السبب مش كده .وأضافت دون أن تسمع الرد: حكاية كل أسبوع يا موشريف ، حموم فتحية.

كانت الجملة بالنسبة لى صادمة مما جعل داخلى يرتعش وأحسست بالخجل وكدت أقف لأستأذن ،ولكن الحاجة نعمة أقسمت على أن آخذ واجبى قبل الخروج .جلست وأنا أحاول أن أبدو مطمئناً ولكن دخول جيهان ،التى كانت تشبه إيمان زاد توترى .كانت ترتدى جلبابا أزرق مليئا بحبات التراتر اللامعة ومشمرة يديها إلى الكوعين، وعلى رأسها إيشارب مبلول .سلمت على أختى التى قدمتنى لها، فهزت رأسها وهى واقفة بجوار أختى .أمرتها أمها أن تصنع كوبا من الشاى لى فدخلت. حكت الحاجة عن سبب الصوت العالى، وعن أختها نوحة ،ثم سألتنى عن الجريدة التى أعمل بها، وبمجرد أن حددت الجريدة .طلبت منى خدمة .كنت قد عرفت مأساة أختها ،مما جعلنى أتورط فى وعود، قمت

بها على أكمل وجه ، ربما كانت عينى جيهان هى السبب الأول لقبولى للمهمات الكثيرة التى جعلتنى أتردد عليهم أكثر من عشر مرات خلال الأسبوع الماضى .دخلت جيهان بالصينية الموضوع عليها أكواب الشاى وجلست على كرسى بجوار الباب مباشرة .كنت قد أعددت خطتى على أساس أنها سوف تكون أمامى ،أو على الأقل فى محيط بصرى ،وليس جانبى مما جعل التفاتى إليها شبه مجازفة لا أعرف رد فعلها على الحاجة، التى أحسست أنها عوض عن أمى التى ماتت الشهور الماضية. لم أجد أمامى، إلا النظر أمامى وبين الحين والحين أنظر إلى الأسفل، لأفوز بشبه رؤية بعيدة لوجهها الذى ظللت طوال الأمس أخطط فى كيفية مواجهته ،بعيداً عن عينى الحاجة وأختها .دخلت فتحية وجلست بجوار الحاجة نعمة بمجرد بدء عرض الفيلم .كنت قد شاهدت هذا الفيلم كثيراً، وأعرف كل تفاصيله عن ظهر قلب، وذلك لجمال شخصية نجيب الريحانى، ولصوت ليلى مراد، وأغنية عبد الوهاب التى ظللت لسنوات طويلة هى كل حياتى .كنت لا أعرف حتى تلك اللحظة الجملة التى يرددها الكورس حين يقول عبد الوهاب: وهاعيش على ذكراه، ويمتلى الكادر بدموع نجيب الريحانى، الذى كان يتيه عشقاً وغراما بليلى مراد ، كما كنت أتيه دومًا بوجه محبوبتى الحامل دائما لبعض سمات ،إيمان، طوال أوقات حياتى المختلفة، وكنت أبكى مثلما يبكى نجيب الريحانى.

- اشهد عليه يا ليل.

- خرجت من فمها مليئة بالشجن والحب والهيام .ثم وقفت وخطت خطوات سريعة وحاسمة ووقفت أمام شاشة التليفزيون، وأشارت إلى وجه من وجوه الكورس وقالت بحسرة وندم ودموع.

- ده أنور المنسترلي يا أستاذ، ثم رددت معه والدموع تملأ وجهها.

- اشهد عليه ياليل .

كنت قد عزمت النية، بعد أن شاهدت أنور لأول مرة في التليفزيون، حين أشارت عليه فتحية منذ قليل، أن ألتفت إلى وجه جيهان وأسدد نظرة مليئة بالعشق والتيه، تاركاً الأم وأختها الواقفة أمام الشاشة حاجزة الصورة رغم جرمها الصغير عنا ،ولكن التفاتة منها إلى مصحوبة بصوت أكبر من المسموح بالنسبة لحجمها أماتت المحاولة.

بص يا أستاذ ،هييجي دلوقتي واضح قوى في اللقطة الجاية دي.

ثم وضعت يديها علي وجهه تماما، مما جعلني ألتفت لأول مرة في حياتي إلي الصورة الكلية للمنظر ،تاركاً وجه البطل أو البطلة ومنتبهاً إلى المشهد المحيط بهما .كان أنور يبدو لي كشئ بعيد في سماء مليئة بالنجوم، ورغم ذلك كان ضروريا لإظهار روعة النجوم في هذه اللحظة وهو يردد مع الكورس .

اشهد عليه يا ليل.

* * *

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٩١٩ / ٢٠٠٢

I.S.B.N 977 - 01 - 8154-4



لقد أدركنا منذ البداية أن تكوين ثقافة المجتمع تبدأ بتأصيل عادة القراءة، وحب المعرفة، وأن المعرفة وسيلتها الأساسية هى الكتاب، وأن الحق في القراءة يماثل تماماً الحق فى التعليم والحق فى الصحة.. بل الحق فى الحياة نفسها.

سوزان مبارك

سعر النسخة جنيه واحد